@Tafsircenter

ماريانا كلار
Marianna Klar

مقاربات (نقد- نصية) لبنية السورة القرآنية

الجمع بين القراءتين التزامنية والتعاقبية لسورة البقرة

الجزء الأول

ترجمة
حسام صبري - محمود نجاح

www.tafsir.net

مركز تفسير للدراسات القرآنية
Tafsir Center For Qur'anic Studies

المعلومات والآراء المقدَّمة هي للكتّاب، ولا تعبّر
بالضرورة عن رأي الموقع أو أسرة مركز تفسير

نبذة تعريفية بماريانا كلار:

ماريانا كلار Marianna Klar، باحثة بكلية الدراسات الشرقية والإفريقية جامعة لندن (SOAS)، حاصلة على الدكتوراه في الدراسات الشرقية من كلية بيمبروك بجامعة أكسفورد.

مهتمّة بالدراسة الأدبيّة للقرآن والتفاسير التقليدية، شاركت في تحرير عدد من الكتب في هذا السياق، كما صدر لها كتابٌ حول قصص الأنبياء في تفسير الثعلبي.

Interpreting al-Thaʿlabī's Tales of the Prophets: Temptation, Responsibility and Loss, 2009

(تفسير قصص الأنبياء للثعلبي؛ الفتنة والمسؤولية والخسارة).

مقدمة[1]:

مع بروز الاتجاه السانكروني (التزامني) على ساحة الدرس الاستشراقي للقرآن، بتوظيفه عدّة منهجيّة مستمدة من حقل دراسات الكتاب المقدّس وحقل الدراسات الأدبية، برزت للجميع تلك التبايُنات في الأطر المنهجية والمناهج والأدوات المستخدمة في دراسة القرآن بين هذا الاتجاه الجديد والاتجاه الدياكروني (التعاقبي) التاريخي التطوري الذي سيطر على الدرس الاستشراقي منذ بداياته، حتى بات النظر للاتجاهين كاتجاهين شديدي التمايز على ساحة هذا الدرس، ولو قصَرْنا الحديث تحديدًا على دراسة بنية النصّ القرآني؛ فقد تم النظر لهما كاتجاهين يقدّمان صورتين متغايرتين تمامًا لِما عليه النصّ القرآني من حيث النظام والتركيب، فالاتجاه السانكروني هو الذي قدّم الأفكار حول وجود بنية واضحة للنصّ القرآني، تحتاج للاستكشاف، وبرز الحديث عن السورة كوحدة أدبية أساسية للقرآن، بعدما كان النظر الاستشراقي للقرآن هو أنه كتاب لا يحمل أيّ وحدة ولا يمكن قراءته إلّا وفق ترتيب تاريخي يمنطقه، أو اختيار موضوعي عشوائي يعقلنه.

---

(١) قام بكتابة المقدمة، وكذا التعريف بالأعلام والتعليقات الواردة في نصّ الترجمة، مسؤولو قسم الترجمات بمركز تفسير، وقد ميّزنا حواشينا عن حواشي كلار بأن نصصنا بعدها بـ(قسم الترجمات)، وقد كانت حواشي المؤلفة موضوعة في نهاية الدراسة، لكننا آثرنا تضمينها الدراسة تيسيرًا على القارئ لتتبّع مراد المؤلفة.

إنّ الرهان الأساس لهذه الدراسة لماريانا كلار هو محاولة إيضاح كيف يمثِّلُ هذا الفصل بين الاتجاهين والاستبعاد الذي قد يمارسه كلّ اتجاه لِما يقدِّمه الآخر من أدوات منهجية ونتائج للدرس -عائقًا أمام فهمٍ أفضل لبنية النصّ القرآني؛ لذا تحاول كلار القيام بمحاولة للتركيب بين تلك المحدّدات والمعايير التي قدّمها الاتجاه الدياكروني في دراسة تطوّر النصّ الزمني وبين تلك الافتراضات التي قدّمها الاتجاه السانكروني لبنية النصّ والمعايير الموضوعية والبلاغية والتركيبية التي تم الاعتماد عليها لاكتشاف هذه البنية، من أجل تطبيقها مجتمعة على سور القرآن.

ولهذا تنقسم هذه الورقة إلى أربعة أقسام: تم تخصيص قسمَيْها الأوّلَيْن لنتاج الاتجاه السانكروني، حيث تقدِّم كلار مقارنةً وتحليلًا لأربعة افتراضات لبنية سورة البقرة؛ روبنسون، وزاهنيسر، ونيفين رضا، وريموند فارين، بحثًا عن الاتفاقات والاختلافات في معايير التقسيم وأدواته، ثم تقارن هذه المحاولات بمحاولة ميشيل كويبرس لاكتشاف نظم القرآن عبر تطبيق منهج التحليل البلاغي السامي -والذي يتمثّل في تحليل النصّ وفقًا لقواعد البلاغة الساميّة-[1]

(١) نشرنا ضمن هذا الملف، ترجمتين لميشيل كويبرس يوضحان منهجه؛ الأولى بعنوان: (البلاغة الساميَّة في القرآن)، ترجمة: خليل محمود اليماني، والثانية بعنوان: (الكتاب المقدّس والقرآن: نسق أدبي واحد)، ترجمة: عبير عدلي، كما ترجمنا عرضًا لكتابه عن سورة المائدة، كتبته: آن سيلفي بواليفو، يمكن مطالعتهم على الروابط الآتية:

=

على بعض سور القرآن، كما تُولي أهمية كبيرة لأعمال نويفرت وديفين ستيوارت حول البنى الإيقاعية في القرآن كأحد السمات البنيوية للنصّ. أمّا في القسم الثالث فتقارن بين النظام التعاقبي للقرآن الذي اقترحه مهدي بازركان وبين اقتراحات نولدكه وريتشارد بيل، لتختم دراستها بقسم رابع يتناول إمكان الاستفادة مما تقدمه البرامج الهرمنيوطيقية مختلفة المناهج هذه من أدوات ومعايير ومحددات تستطيع أن تضيء بنية النصّ القرآني، مطبقة هذا على سورة البقرة.

وبعد أن ترجَمْنا عددًا من المقالات والدراسات التي تتناول مسألة التحليل السانكروني للقرآن ونظامه وبنية سوره بمعزل عن استخدام الأدوات الدياكرونية؛ تأتي هذه الدراسة لتُلقي الضوء على المزاوجة المنهجية بين الاتجاهين، والتي يقوم بها عددٌ من المستشرقين على رأسهم أنجيليكا نويفرت، فمثل هذا يستطيع أن يكشف الأثر الكبير للقراءة التزامنية للنصّ في تشكيل الدرس الاستشراقي المعاصر وإثرائه عبر الأدوات والمناهج الجديدة، كما يلقي ضوءًا على آفاق هذه القراءة.

=

- https://tafsir.net/translation/45/
- https://tafsir.net/translation/46/
- https://tafsir.net/translation/47/

الدراسة[١][٢]

مقدمة:

تأتي هذه المقالة بمثابة محاولة استكشافية لفهم مجموعة من الاتجاهات الفكرية الحالية حول بنية السور القرآنية، وهي اتجاهات يبدو من ظاهرها التبايُن، ثم صياغتها في إطار نظام عملي ولو بشكل مبدئي. ورغم حجم ما يخفى علينا في هذا الجانب، إلّا أن البنى المتداخلة التي صاغتها الاهتمامات الموضوعية والتكرارات الدلالية وإيقاع السورة، وأنماط القافية والتنوّع في طول الآيات، تُبرز -على ما يبدو- إمكانية دمج العناصر التزامنية والتعاقبية في بنية السورة[٣]. ونتيجة لذلك، لا حاجة لتطبيق هذه المقاربات العلميّة الحديثة في

---

(١) نظرًا لكبر حجم هذه المادة، آثرنا نشرها على جزأين، هذا هو الجزء الأول منهما، وقد اتبعنا في تقسيمها نفس التقسيم الذي نُشرت به في Journal of Qur'anic Studies. (قسم الترجمات).

(٢) قام بترجمة هذه المادة كلٌّ من: حسام صبري، مدرس مساعد بكلية اللغات والترجمة، قسم الدراسات الإسلامية باللغة الإنجليزية، بجامعة الأزهر، شارك في ترجمة عدد من الكتب الدينية، وقام بترجمة عدد من البحوث، كما أنّ له العديد من الترجمات المنشورة على بعض المواقع الإلكترونية، ومحمود نجاح، مدرّس بقسم الدراسات الإسلامية باللغة الإنجليزية بكلية اللغات والترجمة جامعة الأزهر.

(٣) هناك تصوّرات مختلفة في فهم التزامنية والتعاقبية، ومع ذلك يمكن القول بوجه عامّ أن المقاربات التزامنية تعمل وفق محور أفقي (مسطح) بحيث تكون الوحدة النصيّة المحددة بكاملها حاضرة طوال =

تناول النصّ بمعزل عن بعضها بعضًا. وإذا كان لا مفرّ من وجود قدر من المرونة المنهجية على الأقلّ لحين الوصول إلى فهمٍ أعمق للقواعد التي تحكم بنية السورة، فيمكن القول أنّ الاتجاه الحالي الذي يتّسم بأحادية التفكير المنهجي من شأنه أن يعوق أيّ تقدم في هذا المجال.

إنّ الاعتقاد بالسلامة البنيوية والموضوعية للسور القرآنية يعزّز ما ذهب إليه عددٌ كبيرٌ من الدراسات النصيّة الوثيقة للقرآن في وقتنا المعاصر. وقد شدّد مستنصر مير[1] على أهمية التعامل مع السورة القرآنية باعتبارها (وحدات) منذ

=

الوقت على نحوٍ متساوٍ، أما المقاربات التعاقبية فتعمل وراء المادة القرآنية الموثقة منطلقة من فرضية قابلية المادة القرآنية للتقسيم دومًا إلى أجزاء نصيّة سبقت الشكل الحالي للنصّ القرآني المعتمد. وتتضمن المقاربة التزامنية الحقل الفرعي المتنامي للدراسات التي تتعامل مع السور باعتبارها وحدات أدبية، مع توظيف أدوات التحليل المحايث للنصّ بهدف إبراز الأفكار الرئيسة وبنية النصّ. وفي هذه الأثناء يمكن تقديم المقاربات التعاقبية في فئتين رئيستين: فالفئة التي تُعنى باستكشاف الدليل للفقرات النصيّة أو التطوّر الأسلوبي تتبنَّى نظامًا للشكل الذي كان عليه النصّ قبل أن يأخذ شكله النهائي. والفئة الأخرى التي تضع عناصر محددة من النصّ على محور عمودي فتقترح مسارًا محتملًا للتطوّر السردي أو الديني حين يبدأ النصّ في التشكّل. وحظيت المقاربة التعاقبية الأخيرة بانتشار ملحوظ في الدراسات القرآنية المعاصرة بخلاف الفئة الأخرى رغم وجود محاولات حديثة لإعادة صياغة فهمنا للمؤشرات الأسلوبية المفترضة في إعادة ترتيب النصّ وفق القراءة التاريخية. وسوف نناقش هذه المسألة بالتفصيل فيما بعد.

(١) مستنصر مير (١٩٤٩-)، باحث باكستاني، أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة يونغستاون بالولايات المتحدة الأمريكية، تتركز اهتماماته في دراسات القرآن، والتفسير المعاصر، كما له اهتمام خاصّ بمحمد إقبال، مِن كتبه في هذا السياق: إقبال، ٢٠٠٦، والتماسك في نصّ القرآن؛ دراسة في مفهوم السورة عند الفراهي

=

ثمانينيات القرن العشرين[١]، في حين نادت أنجيليكا نويفرت[٢] بضرورة فهم قصار السور القرآنية على أنها كلٌّ شعائري وضع بعناية لغرض التلاوة في مجلس واحد[٣].

=

وإصلاحي، ١٩٨٦، فهم الكتاب المقدّس الإسلامي؛ دراسة لمقاطع مختارة من القرآن، ٢٠٠٨. (قسم الترجمات).

(١) انظر على سبيل المثال: Mir, Coherence in the Qur'an، وله أيضًا 'The Sūra as a Unity'.

(٢) أنجيليكا نويفرت (١٩٤٣-) من أشهر الباحثين الألمان والأوروبيين المعاصرين في الدراسات القرآنية والإسلامية.

أستاذ الدراسات السامية والعربية في جامعة برلين الحرّة، درست الدراسات السامية والعربية والفيلولوجي في جامعات برلين وميونيخ وطهران، عملت كأستاذ ومحاضر في عددٍ من الجامعات، مثل: برلين وميونيخ وبامبرغ، كما عملت كأستاذة زائرة في بعض الجامعات، مثل: جامعة عمان بالأردن، وجامعة عين شمس بالقاهرة. ترأست مشروع (كوربس كورانيكوم) منذ ٢٠٠٧ إلى ٢٠١٠.

ولها عدد من الكتابات والدراسات المهمة في مجال القرآن ودراساته، من أهمها:

القرآن كنصّ من العصور القديمة المتأخرة، مقاربة أوروبية، ٢٠١٠، دراسات حول تركيب السور المكية، ١٩٨١، النصّ المقدس، الشعر، وصناعة المجتمع: قراءة القرآن كنصّ أدبي، ٢٠١٤. وقد نشرنا ثلاث ترجمات لأنجيليكا نويفرت، بعنوان: الدراسات القرآنية والفيلولوجي التاريخي النقدي، ترجمة: محمد عبد الفتاح. ووجهان للقرآن: القرآن والمصحف، ترجمة: حسام صبري. وعرض كتاب القرآن والكتاب المقدّس كنصّ ضمني له، ترجمة: أمنية أبو بكر، يمكن مطالعتهم على هذه الروابط:

- https://tafsir.net/translation/41/
- https://tafsir.net/translation/42/
- https://tafsir.net/translation/37/

(قسم الترجمات).

(٣) انظر على سبيل المثال: Neuwirth, 'Sūra'، ولها أيضًا 'Vom Rezitationstext'

واستنادًا إلى تحليل الأدلة الذي أجراه بينام ساديغي[١] على طروس صنعاء، فإنّ تسلسل الآيات داخل كلّ سورة قد استقرّ في مرحلة مبكرة جدًّا[٢]. وعلى الرغم من وجود بعض الاختلافات في ترتيب السور من مخطوطة لأخرى إلّا أنّ ثمة اتساقًا ملحوظًا فيما يتعلّق بالسور نفسها في هذه المخطوطات. ولا تفاوت في ترتيب الآيات بين المصحف العثماني وبين ما أسماه ساديغي نسخة C-1 النصية المنسوبة إلى أحد صحابة النبي، وهي عبارة عن مصحف غير مكتمل يعود تاريخه باحتمال كبيرٍ إلى ما قبل سنة ٦٤٦ ميلادية. ويترتب على هذا أن الطبيعة المنفصلة والموحدة للسور الفردية قد استقرت في وقت مبكر نسبيًّا، ومن المحتمل أن يكون هذا الأمر قد حدث في حياة النبي[٣]. ويظهر هذا

---

(١) بينام ساديغي، أستاذ مساعد للدراسات الدينية بجامعة ستانفورد بكاليفورنيا منذ ٢٠٠٦، مهتم بالفكر الإسلامي وبالقانون وبالإسلام المبكر. له كتاب بعنوان: «منطق صنع القانون في الإسلام: المرأة والصلاة في التقاليد القانونية، ٢٠١٢»، بالإضافة لعدد من المقالات والبحوث. (قسم الترجمات).

(٢) انظر: Sadeghi and Bergmann, 'The Codex of a Companion', p. 355, and Sadeghi and Goudarzi, 'Ṣanʿāʾ 1'.

(٣) لعلّ أصدق نتيجة توصلت إليها الدراسة الحالية أن ترتيب الآيات والسور كان قد وُضع في زمن النبي (انظر: Bergmann, 'The Codex of a Companion'، ص٣٤٦). أما الاختلافات الطفيفة الموجودة – إذ إن الترتيب معكوس في الآيتين [٣١، ٣٢] من سورة طه، كما أن الآية [٨٥] من سورة التوبة محذوفة (وربما نشأ هذا عن خطأ من النساخ) فقد ناقشها ساديغي وجودارزي في بحث بعنوان: (Ṣanʿāʾ 1) ص٢٣. وللوقوف على النقاش الذي دار حول بعض الأحاديث المتعلقة بمسألة جمع القرآن، وانتشار هذه المسألة في كتابات طائفية تعود للقرنين الثامن والتاسع، انظر: Modarressi, 'Early Debates'.
=

الاتساق كذلك مع طوال السور مثل: (البقرة والمائدة)، والتي وصفتها أنجيليكا نويفرت في منتصف التسعينيات بأنها سلال تجميع لمجموعات من الآيات المنفصلة[(١)] لا يسهل التحقّق من سلامتها الموضوعية والبنيوية. ورغم صغر العيِّنة التمثيلية للأوراق التي درسها ساديغي، نجد في مقالته التي نشرها سنة ٢٠١٠ اتساقًا في الأسطر بين نسخة C-1 والنص القرآني المعتمد للآيات [من ١٩١ حتى ٢٢٣] في سورة البقرة، والآيات من [٤١ حتى ٧٢] من سورة المائدة. وقد فصّل القول في هذا الأمر في دراسة نُشرت سنة ٢٠١٢ شملت الآيات [٨٧ – ١٠٥] من سورة البقرة، علاوة على مواضع أخرى.

=

وللوقوف على نقاش حديث للأدلة التي تؤيّد أو تعارض مسألة الجمع المبكر للقرآن، انظر مقالة لنيكولاي سيناي بعنوان: When Did the Consonantal Skeleton…? الجزء الأول والثاني، وكذلك دراسة لمايكل كوك بعنوان: The Stemma of the Regional Codices.

(١) الأصل الألماني هو Sammelkörbe" für isolierte Versgruppen (انظر: Neuwirth, Vom Rezitationstext‘، ص٩٨، كما ترجمه زاهنيسر في دراسة له بعنوان: Major Transitions، ص٢٦. وقد وردت هذه العبارة كذلك لدى El-Tahry, ‘Textual Integrity’، ص٢، وكذلك Robinson, ‘Hands Outstretched’، ص١٨ في الهامش ٢، وخاصّة الهامش ٦ وفيه يلفت روبنسون أنظار القارئ إلى الاقتراح بتغير موقف أنجيليكا نويفرت في ضوء العمل الذي قدمه زاهنيسر فيما بعد حول وحدة السور الطوال. ومع ذلك ورغم إقرار أنجيليكا بما قدمه زاهنيسر في هذا الصدد في إحدى مقالاتها، إلا أنها لا تزال ترى أن بعض المواضع في طوال السور –مثل سورة البقرة حتى يونس– ليست ذات بنية متّسقة وإنما تبدو نتاج عملية جمع لم يتسنّ لنا الوصول إلى إعادة تشكيلٍ لها حتى الآن.

ومع ذلك، ثمة افتراض -بالتوازي مع ذلك- يرى أن عناصر القرآن ظهرت في أول الأمر متفرّقة، ثم أُدرج كثير منها في وقت لاحق على سياق سورة من السور. ويشتمل القرآن على إشارات إلى الناحية التعاقبية فيه، من ذلك ما جاء في سورة الفرقان في الآية [٣٢] في قوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ﴾[(١)]، وكذلك في سورة الإسراء في الآية [١٠٦] في قوله: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾. ولا شك أن هذه الإشارات تقتضي ضمنًا أن الآيات المفردة والوحدات النصيّة الأكبر ربما أضيفت إلى النصّ القرآني في مرحلة تطوّره، كذلك القول بإمكانية أن تحلّ آيات محلّ أخرى لتصبح جزءًا من النصّ القرآني كما في الآية [١٠٦] من سورة البقرة: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾، وكذا سورة النحل الآية [١٠١]: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ﴾، يمكن فهمه كإشارة إلى عنصر المرونة التحريرية التي سبقت استقرار النصّ القرآني في صورته الثابتة. وفي الحديث النبوي ما يشير إلى جانب تحريري مقصود في جمع السور الأخيرة من القرآن. وثمة حديث يشير كذلك إلى دور النبي في جمع السور ذوات العدد[(٢)]؛ فإنّ النبي ﷺ كان إذا نزل عليه الشيء دعا

(١) ترجمات القرآن مأخوذة من ترجمة جونز مع بعض التعديلات.

(٢) ابن حنبل، المسند، ج١، ص٥٧. العنصر الكتابي في تسجيل النصّ يتجلى أيضًا في سلسلة روايات ابن أبي السرح (التي يتم تسليط الضوء عليها بمزيد من التفصيل فيما بعد) وتبدأ بحديث: «لما نزلت ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن =

بعض مَن يكتب له، فيقول: «ضعوا هذه في السورة التي فيها كذا وكذا»، وإذا أُنزلت عليه الآيات قال: «ضعوا هذه الآيات في السورة التي يُذكر فيها كذا وكذا»، وإذا أنزلت عليه الآية قال: «ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا».

واستنادًا إلى هذا فلا غرابة في أن نقول بأن عددًا من هذه الوصلات الثانوية يظلّ بارزًا ويمكن تمييزه في السور القرآنية. وقد حظي هذا الأمر باهتمام أكاديمي كبير في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين حين وظّف علماء من أمثال نولدكه(١) وريتشارد بيل(٢) مجموعة من المؤشرات (شبه) التاريخية والنحوية

=

سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴾ الآية [المؤمنون: ١٢]. أملاها رسول اللّه... فقال رسول الله ﷺ: «اكتبها فهكذا نزلت». انظر على سبيل المثال: تفسير الثعلبي للآية [٩٣] من سورة الأنعام.

(١) تيودور نولدكه (١٨٣٦-١٩٣٠)، شيخ المستشرقين الألمان كما يصفه عبد الرحمن بدوي، درس عددًا من اللغات السامية: العربية، والعبرية، والسيريانية، وآرامية الكتاب المقدّس، ثم درس -وهو طالب في الجامعة- الفارسية والتركية، وفي العشرين من عمره حصل على الدكتوراه عن دراسته حول «تاريخ القرآن»، وهي الدراسة التي قضى عمره في تطويرها، وقد صدر الجزء الأول من «تاريخ القرآن» في ١٩٠٩، وعمل عليه مع نولدكه تلميذه شفالي، ثم صدر الجزء الثاني عن تحرير تلميذه فيشر عام ١٩٢٠، وصدر الجزء الثالث عام ١٩٣٧ عبر تحرير تلميذه برجستراسر ثم برتزل. كذلك درس نولدكه «المشنا» وتفاسير الكتاب المقدّس أثناء عمله معيدًا في جامعة جيتنجن، له إلى جانب كتابه الشهير «تاريخ القرآن» كتب حول اللغات السامية، منها: «في نحو العربية الفصحى»، و«أبحاث عن علم اللغات السامية»، عمل أستاذًا في جامعة كيل ثم جامعة اشتراسبورج، كتابه «تاريخ القرآن» مترجم للعربية، حيث ترجمه: جورج تامر، وصدر عن منشورات الجمل، بيروت، ٢٠٠٨. (قسم الترجمات).

(٢) ريتشارد بيل (١٨٧٦-١٩٥٢)، مستشرق بريطاني، أستاذ اللغة العربية بجامعة أدنبرة، له اهتمام كبير بالقرآن؛ حيث كتب حول أسلوب القرآن ومتشابه القرآن، كما أنه اهتم لعلاقة القرآن وعلاقة النبي بالمسيحية، كما أنه ترجم القرآن في ترجمة وإعادة ترتيب (١٩٣٧-١٩٤١). (قسم الترجمات).

والموضوعية علاوة على التنوّع في طول الآيات والفواصل لتجزئة السور إلى أجزاء صغيرة؛ تمثل الأساس المنفصل الذي وجدت عليه السورة أول الأمر[١]. ومع ذلك فإنّ التعويل على المعلومات التاريخية التي استندت إليها هذه الدراسات يبقى موضع نظر. وعلاوة على ذلك ليست هناك إشارة إلى الوحدة الوظيفية الشاملة للسور المفردة في مناهج هذه الدراسات كما أنّ النتائج التي توصلت إليها تظلّ متنافرة تفتقر إلى الترابط، وربما كان نتيجة ذلك أن سعت الدراسات البنيوية المعاصرة للسور القرآنية إلى تفادي الاعتبارات التعاقبية التطورية في محاولتها تحديد أساليب التقابل العكسي أو التراكيب الموضوعية[٢]،

(١) كما سيتضح أدناه أناقش هنا التقسيم الذي اتّبعه نولدكه حين قسم السور إلى آيات في كتابه تاريخ القرآن، ولا أقصد الترتيب التاريخي الذي انتهجه. وللاطلاع على دراسات حديثة تؤكد المعايير التي اتّبعها في الترتيب التاريخي، انظر: Sinai, 'The Qur'an as Process'، وكذلك Schmid, 'Quantitative Text Analysis'. ولمعرفة أوجه القصور في هذا الترتيب انظر: Stefanidis, 'The Qur'an Made Linear'.

(٢) ثمة تقدُّم تحقَّق على يد أنجيليكا نويفرت ومؤخرًا على يد نيكولاي سيناي في تحديد حالات الإضافة التعاقبية التي أضيفت فيها مادة مدنيّة متأخرة كثيرًا إلى السور المكية المبكرة. والفرضية العامّة المعمول بها أن هذه الاختلافات المفاجئة في طول الآيات والقافية (أو في بعض الحالات المحتوى اللغوي) يمكن أن تكون مؤشرًا محتملًا لتعديلات تحريرية. وتقدِّم أنجيليكا نويفرت تحليلًا موجزًا لبعض هذه الإضافات المتأخرة مع ملخص لما سبق أن كتب حولها في دراسة لها بعنوان: Studien zur Komposition. كما يسلط نيكولاي سيناي الضوء على هذه الظاهرة في دراسته بعنوان 'Two Types'. انظر كذلك Sinai 'When Did the Consonantal Skeleton ...?'، في الجزء الثاني، ص٥١٥-٥١٩. وقد توسع سيناي =

ويُستثنى من ذلك عمل مهدي بازركان[١] الذي أعاده بينام ساديغي إلى دائرة الاهتمام الأكاديمي مؤخرًا[٢]. ويقسم بازركان القرآن إلى كتل نصيّة صغيرة تُرتب بشكل تعاقبي تطوري وفق متوسط طول الآيات، غير أن هذه الفكرة لها تبعاتها على تصوّرنا لجدوى التقسيم الفرعي للسور وفق خطوط تاريخية، تبقى مستمدة من العناصر التزامنية (بشكلٍ موضوعي).

ثمة خطّ بحثي وثيق الصلة للوصول إلى فهم أعمق لبنية السورة -وما في ذلك من مقتضيات تعاقبية محتملة- يتعلّق بمسألة الإيقاع القرآني (القافية). وقد عولج هذا الأمر مؤخرًا في بضع مقالات كتبها ديفين ستيوارت[٣] الذي يرى أن الأَولى بالاهتمام هو السجع في القرآن وكذا الصور الأدبية الأخرى (التي تعود

=

في هذا المنهج ليشمل السور المدنية من القرآن. انظر: Sinai, 'Editorial Expansion'، وانظر النقاش الوارد في الجزء الثاني من هذه الدراسة.

(١) مهدي بازركان (١٩٠٨-١٩٩٥)، أحد الوجوه السياسية والعلمية البارزة في الثورة الإيرانية، درس الهندسة في باريس، وكان رئيس قسم الهندسة بجامعة طهران، كتابه المشار إليه هنا هو: (القرآن في مسار تطوره؛ في تحليل البنية اللفظية والموضوعية)، وهو مترجم للعربية، ترجمه: كمال السيد، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ٢٠١٥. (قسم الترجمات).

(٢) انظر: Sadeghi, 'The Chronology of the Qurʾān'.

(٣) أستاذ الدراسات الإسلامية واللغة العربية وآدابها بجامعة إيموري، تتركّز اهتماماته في القرآن والشريعة الإسلامية. (قسم الترجمات).

لعصر ما قبل الإسلام). وقد هذّب ستيوارت ذاك التصنيف العام للإيقاع القرآني كما جاء في الدراسات العلميّة السابقة، ويرى ملاءمة الأنماط الخاصّة بالسجع والأنماط الموزونة الأخرى بعيدًا عن الحدود الضيقة للسور المكية ذات الإيقاع المقيد وكذا الفقرات المعزولة الأخرى التي تجلَّى فيها السجع. ويُفهم من هذا أن هناك دورًا محوريًّا لقواعد السجع باعتباره قوة بنيوية داخل المادة القرآنية؛ وإذا كان الأسلوب القرآني قد تطوّر حتى انفصل عن قواعد السجع الصارمة لكنه استمر مسترشدًا بأوزانه، وعليه فإنّ الإيقاعات التي تنجم عن أنماط الطول للآيات أو (العبارات) والتنوع في فواصل الآيات ينبغي أن تكون محطّ الاهتمام في دراسة بنية السورة، وهو أمر لم يُتطرق إليه بعدُ.

يتألّف البحث الذي بين أيدينا من جزأين وأربعة أقسام رئيسة؛ أما القسم الأول فعنوانه: ١- بنية السورة: مقاربات موضوعية ومقابلات عكسية، وفيه المقارنة بين خمسة تحليلات علميّة لبنية سورة البقرة لإبراز مواطن الاختلاف والتلاقي بينها. القسم الثاني بعنوان: ٢- بنية السورة: اعتبارات إيقاعية، ويفيد من أعمال أنجيليكا نويفرت وديفين ستيوارت، ويتناول الأنماط الإيقاعية (القوافي) في سورة البقرة في محاولة للوصول إلى تحديد دقيق لما يمكن اعتباره من مواضع الشذوذ في سياق السورة، والأهمية البنيوية المترتبة على هذا الأمر. ويدرس الجزء الثاني النظام الذي اتبعه مهدي بازركان في التقسيم الداخلي للسور إلى طبقات تعاقبية. ٣- بنية السورة: المحددات الزمنية، ويقارن بينه

وبين ما اقترحه نولدكه وريتشارد بيل، ويجري محاولة أولية لتقييم مدى إمكانية الإفادة من المحددات الزمنية الواضحة جنبًا إلى جنب مع المقاربات التزامنية في تناول المحتوى القرآني بهدف الوصول إلى فهمٍ أدقّ لبنية السورة. ثم يأتي الجزء الختامي من هذا البحث بعنوان: ٤- بنية السورة: استكشاف إمكانية التركيب؛ لبحث إمكانية الجمع بين المحددات البنيوية التي ميزتها الأنظمة الهرمنيوطيقية المختلفة وتوظيفها معًا من دون أن تكون معزولة عن بعضها بعضًا، ودراسة النماذج التركيبية في المادة القرآنية مع الإشارة بوجه خاصّ إلى المحتوى المدني[١].

(١) كما يشير عنوان دراسة كلار الأصلي "Text-Critical Approaches to Sura Structure"، وهو العنوان الذي نُشرت به المادة في Journal of Qur'anic Studies ، وتم ترجمته هنا بـ«مقاربات (نقد-نصيّة) لبنية السورة القرآنية»، فإنّ دراستها هي دراسة نقد نصيّة في بنية السور القرآنية، بمعنى أنها تدرس بنية السور بالطريقة التي يعتمدها النقد النصّي، والذي يقارن بين المخطوطات للوصول للمخطوطة الأصح والأصلية والأقرب للمصدر لوثيقةٍ ما، لكنها هنا لا تقارن بين مخطوطات، وإنما بين البنى المقترحة للسور القرآنية من قِبَل الدراسات التزامنية مستفيدة من المحددات الزمنية التي اقترحتها الدراسات التعاقبية ومن الدراسات التي تمت عن الأنماط الإيقاعية في القرآن ، وهذا في محاولة للوصول لأقرب البنى للبنية الأصلية للسورة القرآنية الأقرب من مصدر التركيب الأول لها. (قسم الترجمات).

١. بنية السورة: مقاربات موضوعية وتقابلات عكسية:

قدّم علماء من أمثال نيل روبنسون[١] وماتياس زاهنيسر ونيفين رضا[٢] أعمالًا قيّمة في تمييز المحدّدات البنيوية التي يمكن من خلالها تقسيم سور قرآنية مثل البقرة وآل عمران والمائدة إلى مقاطع نصيّة قصيرة حسب الموضوعات المتنوعة. غير أن أنصار نظرية الحلقات اقترحوا مقاربة أخرى وإن كانت تزامنية أيضًا في تناول بنية السورة، ومن هؤلاء ريموند فارين[٣] (من

(١) نيل روبنسون (١٩٤٨-)، أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة ليدز، من أشهر أعلام الاتجاه السانكروني (التزامني) في قراءة القرآن، ومن أشهر كتبه في هذا السياق كتاب: اكتشاف القرآن، قراءة معاصرة لنصّ مقنع، ١٩٩٦، والذي درس فيه تركيب عدد من السور القرآنية المكية والمدنية، كما حاول فيه التأسيس نظريًّا لفكرة القراءة التزامنية للنصّ، والحِجاج حولها، وقد ترجَمْنا له ضمن هذا الملف (ملف الاتجاه السانكروني) دراسة له بعنوان: (بنية وتفسير سورة المؤمنون)، ترجمة: أمنية أبو بكر، يمكن مطالعتها على هذا الرابط: https://tafsir.net/translation/49/ (قسم الترجمات).

(٢) نيفين رضا، أستاذ مساعد الدراسات الإسلامية بكلية إيمانويل بجامعة ترونتو بكندا، اهتمامها الرئيس هو دراسة القرآن وبناه السردية والتفسير وفق المناهج المستخدمة في دراسة الكتاب المقدّس وفي الدراسات الأدبية، لها عدد من الكتابات في هذا السياق، منها: تصاعدية سورة البقرة: فهم الأسلوب القرآني، وبنيته السردية، وسير الموضوعات، ٢٠١٧. (قسم الترجمات).

(٣) ريموند فارين، أستاذ الدراسات الإسلامية بالجامعة الأمريكية بالكويت، مشتهر بكتابه: (بنية وتفسير القرآن، دراسة التماثل والتماسك في نصّ الإسلام المقدس، ٢٠١٤. (قسم الترجمات).

خلال دراسته لسورة البقرة) وميشيل كويبرس[١] (بدراسته لسورة المائدة). وحسب نظرية الحلقات فإنّ النصّ يتألّف من عدد من التراكيب متّحدة المركز تجذب انتباه القارئ أو السامع إلى الرسالة الرئيسة الموجودة في مركز هذه التراكيب. وتعتمد هاتان المقاربتان على مجموعة معقّدة من الأدلة النصيّة والإحصائية والسياقية، ويمكن القول أنّه رغم إحراز تقدّم مؤكد في تمييز المحدّدات البنيوية في المادة القرآنية، إلّا أنّ توظيفها في هذا الحقل لا يزال يفتقر إلى الاتساق ويحتاج إلى نظام منطقي مترابط. وإنّ التنويع في الأنظمة التأويلية المتقابلة نادرًا ما يحظى باهتمام هذه الدراسات، وكذلك الحال بالنسبة للتحولات الدقيقة في المعنى التي تنجم عن فرض فواصل تركيبية في مواضع مختلفة من السورة القرآنية.

---

(١) ميشيل كويبرس هو رجل دين كاثوليكي، من أتباع شارل دو فوكو، عاش في مصر منذ العام ١٩٨٩ كعضو في المعهد الدومينيكي للدراسات الشرقية (IDEO)، وتخصّص في الدراسة الأدبية للنصّ القرآني، لا سيّما فيما يتعلق بتركيبه وبعلاقاته النصيّة مع الأدب المقدّس المتقدم تاريخيًّا.

من أهم أعماله:

Le Festin, une lecture de la sourate al-Mâ'ida, Lethielleux, 2007.

في نظم سورة المائدة: نظم آي القرآن في ضوء منهج التحليل البلاغي، وهو مترجم للعربية، ترجمه عمرو عبد العاطي صالح، وصدر عن دار المشرق عام ٢٠١٦.

La Composition du Caran. Nazm al-Qur'ân, Paris, Gabalda, 2012.

في نظم القرآن، وهو مترجم للعربية، ترجمه: عدنان المقراني وطارق منزو، وصدر عن دار المشرق، لبنان، ٢٠١٨. (قسم الترجمات).

إنه لمن اليسير بيان التحولات في المعنى الناجمة عن اختلاف المناهج التأويلية للقرآن؛ فمن خلال الإشارة إلى قصة آدم والجنة في سورة البقرة كما جاءت في الآيات [٣٠-٣٩] يختار ريموند فارين الآيات [٢١-٣٩] بداية من قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ... وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ لتكون الحلقة (ب) في سورة البقرة التي تتميز ببنية التقابل العكسي البلاغي[١]. ويرى فارين (انظر الجدول ١ أدناه) أن الحلقة (ب) تأتي ملاصقة للحلقة (ب*) حيث الآيات [٢٥٤-٢٨٤] في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم ... لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾.

ومجموعة الآيات التي تمثل الحلقة (ب) تتألّف نفسها من حلقة أصغر تتحدث فيها الآيات الخارجية [٢١-٢٤] عن النار، بينما تشير الآيات الداخلية [٢٥-٢٦][٢]، وكذلك [٣٠-٣٨] إلى الجنة في حين تأتي الآيات المركزية [آية ٢٥-

(١) انظر: Farrin, 'Surat al-Baqara'.

(٢) دائمًا ما يقسم فارين الآيات إلى مواضع أخرى غير الحدود الفاصلة، ويوضح ذلك من خلال تقسيم هذه الآيات وفق نظام عشري، في حين يقسم آخرون الآيات وفق العبارات الداخلية مع إعطاء كلّ عبارة حرفًا من حروف الهجاء. وتحقيقًا لمبدأ الاتساق، فإن طريقة فارين في اتّباع النظام العشري هي التي ستُستخدم في هذا البحث لتحديد الآيات الجزئية.

ومنتصف الآية ٢٦] حتى الآية [٢٩] لتتساءل كيف يكفرون بالله وهو الذي خلقهم وخلق السماوات والأرض. ويقابل هذه الآيات المركزية نظيرتها في الحلقة (ب*) وفق ما يراه فارين حيث الآيات [٢٥٥-٢٦٠] التي تتضمن ردًّا على الكافرين وتذكر قدرة الله الذي يحيي ويميت. ويحد هذا المقطع المركزي الآية [٢٥٤] وفيها نصيحة للمؤمنين، والآيات [٢٦١-٢٨٤] وفيها الحديث عن (الأمثال والصدقات والربا والديون).

يبيّن الجدول (١) التراكيب المتقابلة حسب الحلقة (ب) والحلقة (ب*) لفارين في سورة البقرة.

الحلقة (ب)	الحلقة (ب*)
الآيات ٢١-٢٤ – ذكر النار.	الآية ٢٥٤ نصيحة للمؤمنين.
الآيات ٢٥-٢٦.٥ ذكر الجنة.	
الآيات ٢٦.٥-٢٩ خلق الله.	٢٥٥-٢٦٠ الله يحيي ويميت.
الآيات ٣٠-٣٨ ذكر الجنة.	٢٦١-٢٨٤ الأمثال والصدقة والربا والديون.
الآية ٣٩ ذكر النار.	

ويرى فارين أن الحلقة (ب*) ككلّ تشتمل من خلال المواضع المتعددة التي ورد فيها الحديث عن علم الله التامّ في الآيات [٢٥٦، ٢٦١، ٢٦٥]، على تكرار الإشارة إلى علم الله بخطيئة آدم وحواء في الجنة (رغم أنّ هذه الخطيئة لا

تـرِد في السـورة إلّا بشـكلٍ ضـمني غيـر صـريح)؛ ولـذا فـإنّ فـارين يحـدّد هنـا موضوعين رئيسين في قصة آدم وحواء: ذكر الجنة (ويؤكّـده التقابـل العكسـي في الآيتين [٢٥-٢٦.٥]) والإشـارة إلـى علـم الله بخطيئـة آدم وحـواء مـن خـلال الاتصال بالحلقة (ب*). ويندرج كِلا الموضوعين في رسالة مركزية تتحدّث عن قدرة الله على الخلق والإماتة والبعث، وهي رسالة موجهة للكافرين.

في المقابل يسير نيل روبنسون في مسار تقدمي بدلًا من التقابل العكسي عبر سورة البقرة، ونتيجة لذلك لا يضع روبنسون وجود الجنة في صدارة مجموعة الآيات المتقدمة ويدرج هذه المادة ضمن فئة (ديناميكيات الإيمان والكفر)[١]. وباختيار موضوع رئيس عن الإسلام باعتباره دين إبراهيم يأتي المقطع الأول [الآيات ١-٣٩] ليكون مقدمة تفصّل فيه قصة خلق آدم الفكرة الرئيسة التي تتناول قدرة الله الكلية وخلقه كلّ ما في الأرض وتسخيره للإنسان [في الآية ٢٩]. وثمة مواطن تشابه بين ما وردَ في الكلام عن علم الله وما خلقه وبين التحليل الذي ساقه فارين. ومع ذلك، ورغم أن روبنسون يذكر التناظر بين الجنة التي وُعِد المتقون وبين المنزلة المباركة التي حَظِي بها آدم وزوجه[٢]، فإن هذا واحد من بين مجموعة من أوجه الشبه والتناظر، ومنها على سبيل المثال ذكر الفساد الذي يحدث في الأرض [في الآيتين ١١، ٣٠]. ثم يجري استحضار خطيئة آدم ووقوعه في حبائل

(١) انظر: Robinson, Discovering the Qur'an, p. 202.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٠٦.

إبليس في إطار الحديث عن بني إسرائيل ومثالبهم في الآيات [٤٠-١٢١ مقارنة بالآيات ٥٤، ٥٨، ٨٤-٨٥، ٨٧][(١)]. ويستمر الحديث عن خطيئة آدم من خلال الكلمات التي ابتُلي بها إبراهيم في الآية رقم [١٢٤] لتتكرر كلمات التوبة لآدم في الآية [٣٧]. ومن خلال تقديم إبراهيم قدوة ومثالًا للبشرية في الآية [١٢٤] فإنّ السورة تستحضر منزلة آدم كخليفة في الأرض وذلك في الآية [٣٠]. ثم إنّ تكرار الإشارة إلى علم الله قرب نهاية السورة قد فهمه روبنسون كخاصية هدفها الوحدة بدلًا من كونه سمة موضوعية؛ فهذا جزء من الفقرة التي تتحدّث عن السعي للوصول إلى الله.

هذه المحاولات لتحديد البنى والأفكار الرئيسة هي انطباعية بشكلٍ كبيرٍ، وقد وُجدت منذ وقت طويل ولا ينبغي لها أن تبطل أيّ رؤى محتملة يمكن استخلاصها من هذه القراءات. ومع ذلك فإنّ الحصيلة الثانوية التأويلية للبحث في المعنى البنيوي لم يلقَ الاهتمام المناسب؛ ويشير التحليل السالف الذِّكر إلى تزايد أهمية قصة آدم وأثرها في سياق سورة البقرة حين نوظف النموذج التدرجي بدلًا من نموذج التقابل العكسي[(٢)]. فإنّ قصة آدم وفق نموذج التقابل العكسي لها أهميتها في سياق السورة، لا لتناولها الجنة فقط وإنما بوصفها بيانًا غير مباشر

(١) نفسه، ص٢٠٧-٢٠٨.

(٢) لمزيد من المعلومات حول أهمية قصة آدم في سورة البقرة انظر: Klar, 'Through the Lens'.
وللوقوف على الاتجاه نحو إعادة تصنيف قصة آدم وفق السياق المكاني في سورة من السورة، انظر: Klar, 'Re-examining Textual Boundaries'.

لقدرة الله؛ إذْ إن تركيز كلّ مجموعة متقابلة يتجلَّى في مركزها، والهدف في هذه الحالة -على الأقلّ- إبراز أوجه التقابل في مساحة واسعة من الآيات، وهنا لا بد من إغفالِ التفاصيل الثانوية للتفصيلات القرآنية. وقصة آدم التي تجري قراءتها بشكلٍ تدريجي تمثّل في الأساس نقطة انطلاق في الحديث عن إبراهيم وبيان مثالب بني إسرائيل. وفي حين تحظى الأوجه المختلفة لقصة آدم باهتمامٍ كبيرٍ في هذه الحالة، نجد بعض القيود التي تُفهم ضمنيًّا من توظيف آدم كمعيار يُقاس به نجاح الأجيال اللاحقة. وفي كلتا القراءتين، فإنّ قدرًا كبيرًا من مادة السورة يبدو تارة عرضيًّا طارئًا على نموذج التقابل العكسي وتارة أخرى على الفكرة الرئيسة.

هناك اختلاف كبير بين قراءة فارين وقراءة روبنسون المنهجيتين، وهو اختلاف في موضع الخطوط الفاصلة بين الكتل النصيّة التي تتشكّل منها السورة (كما في الجدول ٢ الموضح أدناه). فهذا روبنسون يقسّم السورة إلى أجزاء متعددة، عند الآية [٤٠] وفيها: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾، والآية [١٢٢] وفيها: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، وكذا الآية [١٥٣] وفيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾، والآية [٢٤٣] في قوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ﴾، والآية [٢٨٤] في قوله: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾. وفي المقابل يضيف فارين تقسيمات أخرى بين هذه التقسيمات عند الآية [٢١]

في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ﴾، وعند الآية [١٠٤] في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا ﴾، والآية [١٤٢] في قوله: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾، وكذلك عند الآية [١٧٨] في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَى ﴾. ويعدّل فارين من الموضعين الأخيرين في تقسيم روبنسون عند الآية [٢٤٣] في قوله: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ ﴾، فينقل التقسيم إلى الآية [٢٥٤] حيث قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم ﴾، وكذلك ينقل موضع التقسيم من الآية [٢٨٤] في قوله: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ إلى الآية [٢٨٥] في قوله: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ ﴾. ثم يحدد فارين موضعين آخرين بمثابة المزلاج: الموضع الأول [من الآية ٩٧ حتى ١٠٣]، والثاني [من الآية ٢٤٣ حتى ٢٥٣][(١)]، وهما بمثابة خاتمة تُختم بها الأجزاء السابقة.

(١) يعرف فارين المزلاج (Latch) بأنه جزء إضافي يمثل مرحلة ثانية من الإغلاق ويربط الكلّ، ويأتي هذا الجزء عادة في نهاية فقرة طويلة أو مقطع داخلي طويل، ويربط البداية بالنهاية من خلال الإشارة مرة أخرى إلى عبارات وأحداث افتتاحية وهو بمثابة تمهيد من الناحية الموضوعية. انظر: فارين، سورة البقرة، ص١٩. ويحيل فارين القارئ إلى ما كتبه دوجلاس بعنوان: Thinking in Circles خاصة ص١٨، ٣٣-٣٨، ٤٣، ٤٧، ٦٨-٦٩.

الجدول (٢): يبين الخلاف في فواصل سورة البقرة.

روبنسون ١٩٩٦	فارين ٢٠١٠	زاهنيسر ٢٠٠٠	رضا ٢٠١٠
١-٣٩	١-٢٠	١-٣٩	١-٣٩
	٢١-٣٩		
٤٠-١٢١	٤٠-١٠٣ تتضمن: ٩٧-١٠٣	٤٠-١٢١	٤٠-١٢٣
	١٠٤-١٤١		
١٢٢-١٥٢		١٢٢-١٥٢	
	١٤٢-١٥٢		١٢٤-١٥١
١٥٣-٢٤٢	١٥٣-١٧٧	١٥٣-١٦٢	١٥٢-٢٤٢
	١٧٨-٢٥٣	١٦٣-٢٣٧	
		٢٣٨-٢٤٢	
٢٤٣-٢٨٣	تتضمن: ٢٤٣-٢٥٣	٢٤٣-٢٨٣	٢٤٣-٣٨٦
	٢٥٤-٢٨٤		
٢٨٤-٢٨٦		٢٨٤-٢٨٦	
	٢٨٥-٢٨٦		

ويظهر اختلافٌ آخر عند إضافة الدراسة البنيوية لسورة البقرة عند كلّ من ماتياس زاهنيسر ونيفين رضا. فإنّ زاهنيسر، الذي خصّص دراسته لبيان الفواصل الموضوعية في سورتي البقرة والنساء، يسوق حجّة مقنعة لجعل أول فاصلين عند الآية [٤٠] في قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾، والآية [١٢٢] في قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ بما يتفق مع رؤية روبنسون. ويأتي فارين ليقترح فاصلًا عند الآية [١٤٢] في قوله: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾، وهي الآية التي يبرزها زاهنيسر باعتبارها بداية لوحدة موضوعية ذات ترابط واضح[(١)]، دون أن يجعلها فاصلًا في حدّ ذاتها. أما الجزء المحيط بالفاصل الثالث فيرى زاهنيسر اشتماله على فقرة مفصلية تمتد من الآية [١٥٣] حتى الآية [١٦٢] وذلك في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ حتى قوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾، ثم يلي ذلك فقرة مفصلية أخرى بداية من الآية [٢٣٨] في قوله: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾ إلى الآية [٢٤٢] في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾، ويختارها زاهنيسر بدلًا من الفاصل الموضوعي الذي حدده روبنسون عند الآية [٢٤٣] في قوله: ﴿أَلَمۡ

(١) انظر: Zahniser, 'Major Transitions', p. 33.

﴿تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ﴾، أو الآية [٢٥٤] وفقًا لاختيار فارين عند قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم﴾. ويتفق زاهنيسر مع روبنسون حول موضع الفاصل الأخير في سورة البقرة عند الآية [٢٨٤]. أمّا نيفين رضا التي أعدت رسالة أكاديمية حول البنية السردية في سورة البقرة، فتعيد رسم الحدود النصية للمقطع الثاني فتجعله بين الآيتين [١٢٣، ١٢٤] وتقسّم المقطع الثالث (والأخير) من السورة إلى ثلاثة أجزاء تشتمل على فواصل نصيّة بين الآيتين [١٥١، ١٥٢]، وكذلك بين الآيتين [٢٤٢، ٢٤٣]. وتقترح قراءة شبيهة بالتقابل البلاغي العكسي للسورة؛ حيث ترى أن التقابل العكسي يبيّن المخطط العامّ للسورة وأن التناوب يناسب المقطع الأخير(١). وفي مقابل تأكيد روبنسون على الآية المركزية(٢)، تؤكّد نيفين رضا على أن الوحدة الوسطى ليست هي محطّ الاهتمام، وإنما الوحدة الأخيرة(٣)؛ وتجدر الإشارة إلى أن روبنسون تبنَّى ظاهرة مشابهة في دراسة أجراها سنة ٢٠٠١ حول بنية سورة المائدة كما يرِد لاحقًا حيث يتجلَّى ثقل الرسالة التي تتضمنها السورة في المقطع الأخير منها(٤).

(١) انظر: El-Tahry, 'Textual Integrity', p. 78.

(٢) انظر: Robinson, Discovering the Qur'an, p. 201.

(٣) El-Tahry, 'Textual Integrity', p. 116.

(٤) Robinson, 'Hands Outstretched'.

وينشأ الخلاف بسبب هذا الكَمّ الهائل من المؤشرات التي يجري توظيفها في تمييز حدود الفقرات القرآنية. وثمة محاولات بُذلت لتصنيف هذه المؤشرات والحدّ من عنصر الذاتية فيها؛ ولذا يقرّر فارين فيما يخصّ سورة البقرة أنّ جميع المقاطع عدا المقدمة والجزء الأوسط والخاتمة – (أ، هـ، أ*) تبدأ بصيغ الخطاب. ومع ذلك، يتساءل زاهنيسر حول جدوى ما يصفه روبنسون بأنه «شيء من الاهتمام بمستقبِلي الخطاب» في تقسيم سورة البقرة إلى كتل موضوعيّة[١]. وكما لاحظ زاهنيسر ويتضح في فرضية فارين المقابلة بشأن مواضع الفواصل فإنّ السورة تشتمل على عددٍ من صيغ الخطاب التي لم يذكرها روبنسون (أو حتى فارين) في بيان الفواصل الموضوعية[٢]. ويستند زاهنيسر إلى وجود صيغة خطاب ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ في الآية [٤٠] مقترنة بكتلة موضوعية كبيرة على كِلا جانبي الصيغة؛ ليسوق لنا الدليل على اختياره موضع الحدّ الأول في السورة بين الآيتين [٣٩، ٤٠][٣].

(١) Zahniser, 'Major Transitions', p. 34.

(٢) نفسه، ص٣١.

(٣) انظر نفس الرأي في دراسة لروبنسون بعنوان: Hands Outstretched لكن من خلال وجود الكلمات الرئيسة بدلًا من الكتل النصية (Robinson, 'Hands Outstretched', p. 5).

ومع ذلك، توجّه نيفين رضا نقدًا لزاهنيسر للإفراط في الاعتماد على التحليل الموضوعي[١]، وترى في المقابل ضرورة الاهتمام بوجود التقويس (inclusio) في السورة كأداة بنائية. ورغم أنها تتّفق مع روبنسون وزاهنيسر في وضع الفاصل النصّي الأول لسورة البقرة بين الآيتين [٣٩، ٤٠]، إلّا أنها ترى أن كلمة هدى التي تكرّرت في الآية الثانية والآية رقم ٣٨ هي بمثابة إطار للوحدة البنائية في الآيات [١-٣٩]. وكما يتضح من الجدول (٣) أدناه فإن عبارة ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ التي تكررت في الآيتين [٤٠، ١٢٢]، تمثل خاتمة للمقطع الثاني من السورة، وهو المقطع الذي ينتهي عند نيفين رضا بعد تكرار هذه الصيغة بآية أخرى هي الآية رقم [١٢٣]. وكذلك يشير زاهنيسر إلى إمكانية وجود تقويس يتألّف من الآية [٤٠] بالإضافة إلى [١٢٢-١٢٣]؛ إذْ إن الفاصل الثاني وفق اختيار نيفين رضا يقع في الآية رقم [١٢٤] في قوله: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ﴾[٢]. إلّا أنّ زاهنيسر يجعل الفاصل الثاني قبل ذلك بآيتين عند الآية [١٢١، ١٢٢]. وحجته في ذلك أن صيغة ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾

(١) El-Tahry, 'Textual Integrity', p. 84.

(٢) Zahniser, 'Major Transitions', p. 33.

توضح مقطعًا جديدًا؛ إذ سبقت بوحدة ختامية تشكّلت من ثلاث آيات[١]. وتبدأ الآية [١١٩] بكلمة ﴿ إِنَّآ ﴾ وتأكيد للنبوة؛ ثم تأتي الآية [١٢٠] تعزية للنبي في حين تأتي الآية [١٢١] نموذجًا للآية الإيجابية/ السلبية[٢]. وبالمثل يختار روبنسون هذا الموضع من السورة للفاصل الثاني ويرى في هذا الخطاب الأخير الموجَّه لبني إسرائيل في هذا المقطع [الآيات ١٢٢-١٥٢] مقطعًا موضوعيًّا قائمًا بذاته.

كما يرى فارين وجود فاصل بين الآيتين [١٢١، ١٢٢] لكن باعتباره الجزء الثاني من سلسلة من ثلاث حلقات متوالية تشكل المقطع الأكبر في السورة من الآية [١٠٤] حتى [١٤١]. وتمتد الحلقة الثانية من الآية [١٢٢] إلى الآية [١٣٣] في قوله: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ ﴾ ثم يلي ذلك حلقة ثالثة في الآيات [١٣٤-١٤١] تتميز بتكرار عبارة: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ﴾ في الآيتين [١٣٤، ١٤١]. ومع ذلك ترى نيفين رضا أن

(١) يرى زاهنيسر أن «الوحدات الختامية» تعمل على مستوى مجموعات الآيات تمامًا مثل العبارة المقفاة لعددٍ من الآيات، فتعزّز الوحدات الختامية محتوى الفقرات التي تنتهي بها وتمثّل دعمًا تحفيزيًّا لها أو تعزّز النظرة الكلية للقرآن بوجه عام. انظر: Zahniser, 'Major Transitions', p. 32.

(٢) Zahniser, 'Major Transitions', p. 32.

الآية [١٣٤] لها أهمية خاصّة في تمييز منتصف الوحدة الفرعية البنائية، وبالتالي ترسم حدًّا داخليًّا صغيرًا، لا يظهر عند الآية [١٣٣/ ١٣٤] بخلاف ما يرى فارين، وإنما عند الآية [١٣٤/ ١٣٥]؛ حيث يرِد في الجزء الأول القول بأن إبراهيم وذريته كانوا مسلمين [الآيات ١٢٤-١٣٤] في حين يفند الجزء الثاني الزعم بأنهم كانوا هودًا أو نصارى [الآيات ١٣٥-١٤١][(١)]. وعليه يبدو التقويس هنا ذا أهمية فرعية تلي الاهتمامات الموضوعية في تقسيم السورة.

ثمة مقطع آخر عند الآيات [١٢٤-١٥١] ينشأ من دعوة إبراهيم وإسماعيل أن يبعث الله في ذريتهما رسولًا كما ورَد في الآية [١٢٩]، وإجابة الدعاء في الآية [١٥١]. وامتداد هذا المقطع ليشمل الآيات التي تسبق التقويس الوارد في الآية [١٢٩] يبدو بديهيًّا استنادًا إلى أسس موضوعية لا تستلزم تفسيرًا صريحًا. وترى نيفين رضا أن مجيء كلمة: (ذِكر والصلاة) في الآيتين [١٥٢-١٥٣] وكذا [٢٣٨-٢٣٩] يشير إلى مقطع آخر عند الآيات [١٥٢-٢٤٢]. ومدّ هذا المقطع ليشمل الآيات [٢٤٠-٢٤٢] له عدد من المبررات، منها الارتباط الناشئ عن تكرار ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾ في الآيتين [٢٣٤، ٢٤٠]، والحديث عن الطلاق في الآية [٢٢٨] في قوله: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ﴾، وفي

(١) El-Tahry, 'Textual Integrity', p. 91.

الآيـــة [٢٣٦] في قولـــه: ﴿إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾، وفي الآيـــة [٢٤١] في قولـــه: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ﴾، علاوة على ذِكر المتاع في الآيتين [٢٣٦، ٢٤١]. ثم تقترح نيفين رضا مقطعًا أخيرًا عند الآيات [٢٤٣-٢٨٦] يتميز بتكرار عبارة: ﴿وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ في الآية [٢٥٠] وكذلك الآية [٢٨٦]. ويرى زاهنيسر أن الفاصل الأخير للسورة [بين الآيتين ٢٨٣، ٢٨٤] يتميز بوجود لازمة شائعة في الآية [٢٨٤] في قوله: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾. قارن الآيات رقم [١٠٩، ١٢٩] من سورة آل عمران، وكذلك [١٢٦، ١٣١] من سورة النساء، علاوة على مواضع أخرى. بينما التكرارات المتعدّدة للأفكار السابقة الواردة في الآيات [٢٨٤-٢٨٦] من سورة البقرة تدفع زاهنيسر لاختيار الآيات الثلاث الأخيرة كوحدة ختامية مستقلّة للسورة كلّها وتشكّل مقطعًا فرعيًّا بمفردها. ومع ذلك ترى نيفين رضا في التكرار بين الآيتين [٢٥٠، ٢٨٦] تجاوزًا للروابط الموضوعية المتعددة التي تربط السورة ككلّ في الآيتين [٢٨٤، ٢٨٥].

الجدول ٣: يبين الأساس المنطقي في اختيار مواضع الفواصل الموضوعيّة في سورة البقرة.

	روبنسون	فارين	زاهنيسر	نيفين رضا
الآية الأولى				
الآية ٢١	لا يوجد فاصل هنا: والخطاب موجَّه لفئة غير محددة من الناس وهو تكرار لما في الآية الثامنة، وهناك الكثير من الروابط الموضوعية والمفرداتية تربطها بالجزء السابق.	١- خطاب موجَّه لفئة غير محددة من الناس. ٢- حلقة تشكّلت نتيجة ذكر النار.	لا يوجد فاصل رغم وجود صيغة الخطاب؛ والآيات [٣٠-٣٩] تشكّل رغم ذلك جزءًا متماسكًا صلبًا من الرواية.	لا يوجد فاصل هنا، وكلمة هدى في الآية [١٦] تختتم وحدة داخلية لكنها لا تنهي التقويس الذي يمتد من الآية [٢] حتى [٣٨].
الآية ٤٠	١. صيغة خطاب. ٢. موضوع رئيس: مثالب بني إسرائيل.	١. خطاب موجَّه لبني إسرائيل. ٢. حلقة تشكلت نتيجة ذكر بني	١. صيغة خطاب. ٢. وحدات موضوعية كبيرة على كِلا الجانبين.	١. صيغة خطاب تشكل تقويسًا مع تكرار مركزي إضافي في الآيتين

		إسرائيل.		[٤٧-٤٨].
الآية ١٠٤		١. ردّ على أهل الكتاب. ٢. حلقة تشكّلت نتيجة ذكر المؤمنين.	لا يوجد فاصل هنا رغم مجيء صيغة الخطاب ووجود وحدة صغيرة في الآيات [١٠٤-١٠٩]: مرتبطة من الناحية الموضوعية بالجزء السابق.	
الآية ١٢٢	١. صيغة خطاب. الموضوع: مناشدة أخيرة لبني إسرائيل.	لا يوجد فاصل هنا: والآيات [١٢٢-١٣٣] تتميز بإنعام الله على بني إسرائيل؛ أمّا الآيات [١٣٤-١٤١] فتتميز	١. صيغة خطاب. ٢. وحدة ختامية للجزء السابق. ٣. ارتباط موضوعي واضح في المادة.	لا يوجد فاصل هنا: تكرار صيغة الخطاب كان له أثر تقويسي على المادة الاعتراضية؛ وفي هذا تكرار للمقطع ١؛ لا يرِد ذِكر صريح لبني

		بتكرار الصيغة.		إسرائيل في المادة التالية.
الآية ١٢٤	لا يوجد فاصل هنا، لكن الآية [١٢٤] تشتمل على إشارة ضمنية إلى ابتلاء إبراهيم.	لا يوجد فاصل هنا، وهناك ارتباط بالآية السابقة: إِذْ تأتي في سياق الموعظة لبني إسرائيل.	لا يوجد فاصل هنا رغم أن هذا بداية مقطع موضوعي متميز حيث الحديث عن (قصة إبراهيم).	تقويس تشكّل نتيجة استجابة دعاء إبراهيم وإسماعيل في الآية [١٥١].
الآية ١٤٢	لا يوجد فاصل هنا: وتتشكّل وحدة فرعية عن القبلة لكنها ترتبط بالجزء السابق عبر الإشارة إلى {تقلُّب}، (الوجه)، {أُمّة} واستجابة دعاء إبراهيم وإسماعيل.	١. آيات عن القبلة. ٢. حلقة تشكّلت بذِكر أمة الإسلام والنبيّ وأهمية الإيمان.	لا يوجد فاصل هنا، ومع ذلك تشكّل الآيات [١٤٢-١٥٢] وحدة موضوعية ذات ترابط واضح.	لا يوجد فاصل هنا: وتتشكّل وحدة فرعية للحلقة الرئيسة عبر تكرار متعدّد للتقلُّب.
الآية	لا يوجد فاصل هنا:	لا يوجد فاصل		١. تقويس تشكل

١٥٢	وهناك ربط بين الآيات [١٥٠-١٥٢] بسبب استخدام ضمير المتكلم للذات الإلهية.	هنا؛ لأن الآية مرتبطة بما قبلها: فهي رسالة للأمة الإسلامية.		نتيجة تكرار كلمة الذِّكر والصلاة. ٢. امتداد نشأ عن الإشارات المرتبطة إلى المتوفَّى عنها زوجها والمطلَّقة. ٣. تأكيد بتكرار الآيات والبينات واستشعارها.
الآية ١٥٣	١. صيغة خطاب. ٢. الموضوع: أحكام شرعية.	١. خطاب موجَّه في الأساس إلى المسلمين. ٢. حلقة تشكلت بذِكر الصبر والصلاة والابتلاء.	١. صيغة خطاب.	لا يوجد فاصل هنا: وضمير الذات الإلهية يستمر حتى الآية [١٦٠]؛ ويستمر كذلك ضمير المخاطب لمجتمع المؤمنين.

الآية ١٦٣	لا يوجد فاصل هنا، رغم أن هذه الآية لها أهميتها الجلية في وضع أسس الشريعة الإسلامية.	لا يوجد فاصل هنا: وهذا جزء من مقطع الآيات الأولى التي تتحدث عن الكافرين وعن الله وآياته.	١. تفرد الله ووحدانيته وقدرته هي مقدمة ملائمة لمقطع تشريعي.	
الآية ١٧٨	لا يوجد فاصل هنا رغم ورود تشريع واضح للتعامل مع القتل.	١. مقطع تشريعي. ٢. مزلاج لختام المقطع.	لا يوجد فاصل هنا رغم وجود صيغة الخطاب.	
الآية ٢٤٣	١. صيغة تمهيدية. ٢. الموضوع: الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال.	لا يوجد فاصل هنا، لكن الآيات [٢٤٣-٢٥٣] بمثابة مزلاج.	١. صيغة تمهيدية تشكّل فاصلًا بنيويًّا واضحًا في الخطاب.	١. تقويس يتشكّل بتكرار دعاء بني إسرائيل في الآية [٢٥٠، ٢٨٦].
الآية ٢٥٤	لا يوجد فاصل هنا، ولكنها مفتاح للآية [٢٥٥].	١. حلقة تشكلت بالكلام عن الصدقة والإنفاق.	لا يوجد فاصل هنا رغم وجود صيغة الخطاب.	

الآية ٢٨٤	١. تشتمل على إشارات موضوعية للسورة كلها.	لا يوجد فاصل هنا: تشكل جزءًا من المقطع الفرعي للآيات [١٦١-١٨٤] مع ارتباطات موضوعية بما سبق.	١. لازمة افتتاحية. ٢. فاصل بنيوي عما سبق. ٣. إشارات موضوعية للسورة كلها.	لا يوجد فاصل هنا: ختام نشأ عن تقويس عند الآية [٢٥٠] والآية [٢٨٦] يتجاوز تكرارات متعددة في الآيتين [٢٨٤، ٢٨٥].
الآية ٢٨٥		١. حلقة تقارن بين المؤمنين والكافرين وتتميز بالحديث عن المغفرة.		

يتّضح من الجدول (٣) أعلاه أن المؤشرات المفرداتية للتقسيم البنيوي عادة ما يتم التعمية عليها بفعل اعتبارات موضوعية أو مفرداتية أخرى حين يتعلّق الأمر بتقسيم السورة إلى مقاطع. وعليه فإن لكلّ باحث نظامه الخاصّ في توزيع المادة القرآنية على الكتل النصيّة؛ فعلى سبيل المثال بذل نيل روبنسون جهدًا متضافرًا في دراسته لسورة المائدة سنة ٢٠٠١ سعى من خلاله لتقليل الحدس

والتخمين في تحديد الفواصل البنيوية للمادة القرآنية[١]. وقد حدّد عددًا من المؤشرات العامة للفواصل النصيّة: ١- وجود صيغة تمهيدية «مثل: وإذا». ٢- وجود نوعين من التقويس «نوع يتشكّل بالآية الأولى والأخيرة من المقطع، والآخر يتشكّل بالآية الثانية والآية قبل الأخيرة». ٣- الوجود المتكرّر لكلمات أو عبارات رئيسة على مدار المقطع الواحد، وكذلك. ٤- ثلاثة أشكال لما أطلق عليه زاهنيسر الوحدة الختامية «تكرار العبارة نفسها أو عبارة تشبهها في الآيتين أو الثلاث آيات الأخيرة في المقطع؛ ووجود صورة كلامية تتناول الدار الآخرة؛ أو مقطع ختامي لصيغة إيمانية نمطية»[٢].

وعند طرح هذه الفواصل البنيوية حرص روبنسون على تحديد أيّ عبارات متكرّرة أو تشكل صيغة معيّنة بدلًا من اقتراح الأنماط الموضوعية. ورغم تقديم تسميات موضوعية للمقاطع المفترضة فإنّ روبنسون ينصّ صراحة على أن الهدف منها سهولة الإشارة والرجوع إليها لا تحديد نمط موضوعي، فقال: «لا ينبغي للقارئ أن يستنتج من ذلك أنّ لكلّ مقطع موضوعًا خاصًّا به أو أن هذه

(١) يسوق حجة مركزة لدعم الخصائص البنيوية السمعية للمفاتيح الشفهية المتضمنة في الترتيب التقابلي العكسي للمادة.

(٢) Robinson, 'Hands Outstretched', pp. 3–4. Cf. Zahniser, 'Major Transitions', p. 32.

الأوصاف قطعية»[١]. كما يسوق أدلة مستقاة من سور أخرى لدعم التقسيم البنيوي الذي اعتمده؛ لذا على سبيل المثال: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ التي يرى روبنسون أنها تشير إلى ختم وشيك للمقطع الأول من سورة المائدة من خلال وجودها في الآية التاسعة، تظهر مع اختلاف بسيط في سورة فاطر في الآية السابعة، وهنا تظهر مجددًا في نهاية مقطع نصِّي، ثم في الآية الأخيرة، وبالتالي الختامية بلا نزاع في سورة الفتح. وفي الجدول (٤) الوارد أدناه يظهر المقطعان اللذان تم تمييزهما بالعلامة (خ) بالتوازي مع بنية التقابل العكسي الكلية.

(١) انظر: Robinson, 'Hands Outstretched', p. 2. ويتوخى ديفيد سميث الحذر في تجنب أيّ تحديد قاطع للبنية الموضوعية للسورة في دراسته لسورة البقرة. ويقول: في حالة سورة البقرة، فالقول بأن سلطة القرآن نفسه هي المفتاح للتعرف على بنية السورة...وتحدّد المبدأ التنظيمي الأساسي للنصّ، وهو نصّ قد يتضمن محتواه عددًا من الموضوعات المختلفة، قد يمثّل أيّ منها محور التركيز الموضوعي للنص، من ذلك موضوعات مثل اليوم الآخر أو أهمية الانقياد والاستسلام لله. (انظر: Smith, 'The Structure of al-Baqarah', p. 121).

يوضح الجدول (٤) الأساس المنطقي الذي استند إليه روبنسون في تناول سورة المائدة سنة ٢٠٠١.

الكتلة	الآيات	الأساس المنطقي
(أ)	١-٩	تشكلت بتقويس، وتُعدّ الآية التاسعة نموذجًا قياسيًّا لآية يُختم بها المقطع.
(خ)	١٠	عبارة مستقلة تتكرّر كما هي تماما في الآية [٨٦].
(ب)	١١-١٩	تشتمل الآيات الثلاث الأخيرة على مجموعة عبارات نمطية في نهايتها تشير إلى ختام المقطع.
(ج)	٢٠-٢٦	تغيير في الأسلوب الأدبي إلى السرد القصصي، وتنتهي الآيتان الأخيرتان بنهاية متشابهة.
(د)	٢٧-٣٢	سرد قصصي جديد، والآيتان قبل الأخيرتين تنتهيان بنهاية متشابهة، ويتم ربط الآية الأخيرة بعبارة: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ وعبارات مضاهية لما في المشنا.
(هـ)	٣٣-٤٠	تتشكل بتقويس، وعبارات ختامية نمطية في الآية [٤٠].
(هـ*)	٤١-٥٠	تغيير المخاطب، تجميع الكلمة الرائدة، وسؤالان بلاغيان في الآية [٥٠] مما يدلّ على ختام هذا المقطع.
(د*)	٥١-٥٨	تغيير المخاطب، وتغيير الكلمة الرائدة، وتكرار في

		الآيتين [٥٧، ٥٨] مما يدلّ على الختام.
(ج*)	٥٩-٦٨	تغيير في المخاطب، تكرار بين الآيتين [٥٩، ٦٨] مما يشكل تقويسًا، وتكرار في الآيتين [٦٧، ٦٨] يدلّ على الختام.
(ب*)	٦٩-٨٥	تحوّل في الموضوع، عنصر التكرار في الآيتين قبل الأخيرتين، ذروة الحديث عن الدار الآخرة في الآية [٨٥] مما يوحي بختام هذا الجزء.
(خ)	٨٦	آية مستقلة بذاتها مكرّرة حرفيًّا من الآية العاشرة.
(أ*)	٨٧-١٠٨	تغيير في المخاطب، تكرار مع بعض الاختلاف في الآيات الثلاث الأخيرة يوحي بختام هذا الجزء.
(ب**)	١٠٩-١٢٠	تحول زماني مثير، ينتهي بمواضع متكرّرة من المقطع (ب).

تُعَدّ محاولة روبنسون جَمْع عددٍ من المؤشرات البنيوية للخروج بتقسيم مبرّر للسورة يقسمها إلى كتل متمايزة من الأهمية بمكان، وينبغي أن تكون اللغة التي يستخدمها روبنسون في تمييز الفواصل النصيّة عند هذه المرحلة من المقالة التي بين أيدينا أضحت مألوفة لدى القارئ. وكون طريقة روبنسون ليست هي الطريقة الوحيدة في تقسيم السورة وفق الأنماط الخاصّة بنظرية الحلقة أمر

بديهي يتجلّى من مقارنة سريعة بالنظام الذي اقترحه ميشيل كويبرس في دراسة أجراها سنة ٢٠٠٧ لسورة المائدة (ولا تجد روبنسون يلمح في أيّ موضع لتفرد طريقته). وتُرتب حلقات كويبرس على النحو الآتي: (أ١) [١-١١]، (أ٢) [١٢-٢٦]، (أ٣) [٢٧-٤٠]، (أ٤) [٤١-٥٠]، (أ٥) [٥١-٧١]، وعندها تتحول بنية التقابل العكسي إلى: (ب١) [٧٢-٨٦]، (ب٢) [٨٧-١٠٨]، (ب٣) [١٠٩-١٢٠] عند نهاية السورة[(١)]. وثمّة نقطة جديرة بالملاحظة حيث يخرج روبنسون عن الاتجاه السائد في نظرية التقابل العكسي. فهذا الترتيب التقابلي العكسي المحكم للعبارة المركزية في حلقة ج* – التي تمثل المقطع الافتتاحي للآية الرابعة والستين: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟﴾ حيث يأتي الحديث عن اليدَين والغُلّ: {وقالت – يدُ الله – مغلولة}، ثم يتكرّر بترتيب معكوس: {غُلَّت – أيديهم – بما قالوا}، يبدو منه لروبنسون أن ثمة عبارة مفصلية مستقلّة يتمحور حولها التقابل العكسي. ومع ذلك، بخلاف كويبرس[(٢)] أو فارين (الذي يسير على نهج ماري دوجلاس)[(١)]، فلا يرى

(١) انظر: Cuypers, Le Festin.

(٢) على سبيل المثال فإن كويبرس في دراسة له بعنوان: Semitic Rhetoric يوجز ما قاله يوهان البرشت بينغيل من علماء الكتاب المقدّس في القرن الثامن عشر، فيرى وجود عنصر مركزي بين طرفي التقابلي العكسي (أ ب/ خ/ بَ اَ). (انظر: Cuypers, 'Semitic Rhetoric', p. 3)، ويميز كويبرس بين التركيب الحلقي (أ ب/ خ/ بَ اَ) والتركيب التناظري (أب ج/ أَ بَ جَ). ومع ذلك تبدو الوظيفة التوكيدية هي =

روبنسون أيّ وظيفة توكيدية في هذه العبارة. ويتجلى التركيز المحوري للسورة عند روبنسون في المقطع (ب) الذي يتكرر موضوعه وفقًا له في الآيات [٦٩-٨٥] أي: (الحلقة ب*) والآيات [١٠٩-١٢٠] أي: (الحلقة ب**)؛ ولذا فإن موضوع الحلقة (ب) يُعاد مرتين ثم تأتي المرة الثالثة خارج التقابل العكسي في نهاية السورة. وهذا التنميط المعقّد للحلقة (ج*) في السورة يبدو لروبنسون - على الأقلّ - غير مشتمل على أيّ وظيفة تأويلية من أيّ نوع.

كذلك فإنّ وجود التقابل العكسي ليس له -على ما يبدو- أيّ وظيفة بنيوية، وتشتمل الحلقة (ج*) على جملة تناظر عكسي أخرى، ويختار روبنسون جملة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ في الجزء الأول من الآية [٦٧]. وهنا الانتقال من كلمة: {رسول} إلى {بلِّغ} إلى {ما}، ثم العودة مرة أخرى مرورًا بكلمة: {ما} إلى {بلَّغت} إلى {رسالته}،

=

المهيمنة: فمن الضروري تأكيد تكرار التركيب متّحد المركز، عند المستويات الوسيطة، وتحظى بأهمية كبرى في تفسير النصّ: ويؤدي مركز هذه التراكيب دورًا خاصًّا ومحوريًّا في التفسير (انظر: Cuypers, 'Semitic Rhetoric', p. 15). انظر أيضًا: Cuypers, 'Semitic Rhetoric', p. 15، حيث يقول كويبرس إن للمركز أهمية خاصة باعتباره مفتاح فهم النص ككل. وانظر كذلك: Cuypers, 'Semitic Rhetoric', p. 22. حيث يقول: «خصائص المركز... باعتباره المكان المميز الذي يتجلى فيه معنى النصّ بأكمله».

(١) انظر: Farrin, 'Surat al-Baqara', p. 19.

ووسط الجملة غير داخل في التقابل العكسي. وثمة حجة أخرى يمكن إثارتها فيما يخصّ الأسلوب اللغوي بين الآيتين [٣٣، ٤١] من سورة المائدة «حيث تتحوّل: ﴿خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا﴾ إلى: ﴿لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾». وكذلك بين الآيتين [١٨، ٤٠]: «حيث تتحول: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إلى: ﴿...ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾. ولا يقترح روبنسون في أيٍّ من هذه الحالات فاصلًا بنيويًّا. ولا شكّ أن الآيتين [٣٣، ٤١] تقعان في بداية الوحدتين المقترحتين (هـ، هـ*) بينما تأتي الآيتان [١٨، ٤٠] في نهاية الوحدتين (ب، هـ). ويمتد التقابل العكسي عبر الفواصل البنيوية ويؤدي وظيفة موحّدة كما يبين روبنسون على مدار السورة كلّها. ويبدو هذا متعارضًا إلى حدّ ما مع الرأي الذي ذهبَت إليه نيفين رضا حول تشكُّل تقويسات بنيوية عبر تكرار المادة القرآنية، وهو اتجاه يقرُّه روبنسون نفسه بعبارات عامة[١].

رغم جهود روبنسون، فإنّ التنوع في هذه المناهج يمكن أن يكون مربكًا لكن تمييز المؤشرات البنيوية الذي جرى على يد باحثِين من أمثال روبنسون وزاهنيسر ونيفين رضا تبقى نقطة بداية بالغة الأهمية يمكن أن تكون أساسًا

(١) انظر: Robinson, ‘Hands Outstretched’, p. 3.

لنقاش حول بنية السورة. وتشير كلّ الدلائل إلى أن هذه الأدوات التي تضم الصيغ الافتتاحية والختامية، والعبارات المتكررة، وتغيير المخاطب، وتصوير الأمور الأخروية تمثّل نوعًا من الوظيفة البنائية داخل النصّ، وينبغي وضعها في الاعتبار مع الاعتبارات الأخرى عند تقسيم السورة إلى كتل نصيّة تأسيسيّة. ويمكن إيجاز مجموعة المؤشرات المحتملة على النحو الآتي:

الجدول ٥: عرض موجز للمؤشرات المقترحة للتقسيم البنيوي.

فواتح المقاطع	خواتيم المقاطع
وجود صيغ خطابية مثل: يا بَنِي إسرائيل، يا أيها الذين آمنوا، أو يا أيها الناس.	وجود صيغ نمطية مثل: إن الله على كلّ شيء قدير، في ختام الآية.
وجود صيغ تمهيدية مثل: ألم ترَ، وإذا، إن، أو يسألونك عن.	تكرار المادة القرآنية من حيث الشكل أو المحتوى في آيتين متتاليتين، مثل ختام آيتين بنفس الخاتمة، أو تكرار مفردة، أو مطابقة الأداة البلاغية.
تغيير في الموضوع أو النوع الأدبي أو الكلمة الرائدة المتكررة.	وجود وحدة ختامية، مثل: صورة أخروية، أو آية إيجابية/ سلبية أو خطاب عامّ للنبيّ.
وجود ظاهر لعبارة أو جملة متكرّرة (وبالتالي يتشكّل تناظر عكسي).	وجود ظاهر لعبارة أو جملة متكرّرة (وبالتالي يتشكّل تناظر عكسي).

من الضروري أن نلاحظ أن روبنسون أو فارين أو زاهنيسر أو نيفين رضا لم ينظروا إلى وجود هذه المؤشرات في غالبية الحالات كدليلٍ لفاصل رئيس، بل إنّ جُلّ ما يشير إليه وجودها هو احتمال وجود فاصل رئيس عند هذه النقطة. ومع ذلك، وكما أثير بشأن الطبيعة الانطباعية لمحاولات تحديد الموضوعات أو التراكيب الرئيسة للسور الطوال، فإنّ غياب الدّقة والضبط في الدراسات البنيوية للمادة القرآنية لا ينبغي أن يكون مبررًا لإبطال نتائجها. ومع ذلك، فإن هذه الدراسات تميل إلى إغفال القوة البنيوية للقافية، وهو موضوع حديثنا في المبحث الآتي.

٢. بنية السورة: اعتبارات إيقاعية:

ثمة حاجة للتأكّد من أهمية الإيقاع (القافية) لأيّ قراءة بنيوية للسور القرآنية. ويلتفت روبنسون إلى تكرار الكلمات الإيقاعية في إطار تحليل سورة البقرة رغم أنه لا يقترح أيّ تقسيمات بنيوية على أساس القافية. وعلاوة على ذلك بيَّن في تناوله لسورة المائدة أن التقويس الذي يتشكّل بالعبارة المتكرّرة في الآية (٦٤) في قوله: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ وكذلك في الآية (٦٨) في قوله: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ يشير إلى وحدة فرعية منفصلة. ويتجلَّى هذا في منتصف الآية (٦٤) حتى نهاية الآية (٦٨)[(١)] لتُختم الوحدة السابقة عند العبارة الداخلية {بما قالوا}. وتنتهي الآية (٦٤) نفسها بكلمة: {المفسِدِين}، بينما تنتهي الآية (٦٣) بكلمة: {يَصنَعون}، والآية (٦٥) بكلمة {جناتِ النعِيم}. فإن فواصل الكلمات: (ـون، ين، ـوم، يم) مع كلمات ذات مقاطع صوتية بالوزن (CvCv¯C) أو (ص ح ص حَ ص) هي النمط الإيقاعي السائد في السورة[(٢)]. وإن التقسيم المفترض، الذي يظهر في منتصف الآية (٦٤) عند قوله: {بما قالوا} لا يتلازم مع نمط العبارات الختامية في آيات السورة.

(١) تمتد الوحدة الفرعية بمقدار آية أخرى بعد حدود التقويس الذي تشكَّل بفعل وحدة المزلاج نتيجة تكرار عبارة: {القوم الكافرين} التي تأتي في نهاية الآيتين [٦٧، ٦٨] من سورة المائدة.

(٢) ثمة موضع واحد مخالف في الآية [٧٢] من سورة المائدة حيث تنتهي الآية بعبارة: {مِن أنصار}.

ولا يوضح روبنسون السّر في أنّ القوة البنيوية لوحدة فرعية ذات تناظر عكسي يمكنها أن تجتاز الوزن البنيوي الناجم عن وجود فواصل الآيات الإيقاعية[١]. وتجدر الإشارة إلى أن الدراسات الحلقية عادة ما تفترض تراكيب تناظرية لتجتاز حدود الآيات؛ فهذا كويبرس على سبيل المثال يورد تقسيمًا فرعيًّا لتركيب حلقي صغير في سورة المائدة يبدأ من الآيات [١٥-١٩] ويظهر عند الآية [١٥.٨] وكذلك الآية [١٧.٥] ثم الآية [١٨.٥] والآية [١٩.٥][٢]. وبخصوص سورة البقرة، يقسم فارين الحلقة الثانية في التركيب (ب*) عند المنتصف خلال الآية [٢٦] والحلقة الرابعة للتركيب (أ*) في منتصف الآية [٢٨٦] لكنه يبدأ الحلقة الأخيرة في التركيب (أ*) قبل نهاية الآية مباشرة. ويثير هذا الأمر تساؤلًا حول دور الوظيفة الاستذكارية أو البنيوية القائمة في حالات

(١) مع ذلك يُبدِي روبنسون ملاحظات مثيرة حول أهمية تبنِّي الأسلوب الشفهي/الصوتي في تمييز المقابل القرآني لفواصل الفقرات في السور، فيقول: «في بداية الإسلام كان القرآن ظاهرة شفهية؛ ولذا إذا أردنا وضع معايير لتحديد مقاطع السور، ينبغي أن نضع السامع في الاعتبار. فعند السماع لشخصٍ يتلو القرآن، يصعب اكتشاف أيّ تغيير في الموضوع ما لم يوجد مفتاح شفهي، على سبيل المثال صيغة نمطية من النوع الذي تُستفتح به القصص. على الجانب الآخر قد يحسّ السامع بالانتقال في الخطاب على أساس المفاتيح الشفهية بصرف النظر عن مجيء تغييرات واضحة في الموضوع بعدها». (انظر: Robinson, 'Hands Outstretched', pp. 2–3).

(٢) انظر: Cuypers, 'Semitic Rhetoric', p. 11. كما ذكرنا في الهامش (٢)، ص١٩، فإن النظام العشري الذي سار عليه فارين في تقسيم الآيات القرآنية سيجري استخدامه في هذه المقالة؛ ومع ذلك تجدر الإشارة إلى أن كويبرس يستخدم الحروف الهجائية لتقسيم الآيات القرآنية إلى عبارات مختلفة.

التقابل العكسي وعلاقتها بأيّ وظيفة مشابهة مقترحة للقافية الختامية، ويشكِّل الإيقاع -على ما يبدو- نوعًا من الوظيفة البنيوية نظرًا لأن سورة المائدة مفتتحة بأربع آيات تنتهي كلّ آية منها بالنمط الصوتي (CvCv¯C) أو (ص ح ص حَ ص)، وتُختم السورة بخمس آيات لها نفس النمط، وهي ظاهرة لاحظها زاهنيسر في دراسته لسورة آل عمران سنة ١٩٩١[١].

لاحظَ بيل في دراسته للقرآن تحوّلات في القافية، ويتّضح من تحليله لسورة البقرة أنه توقع اشتمال الوحدات النصية المترابطة على قافية أحادية؛ ولذا رأى في هذا التنوع في الأنماط الإيقاعية للسورة نوعًا من الإقحام التعاقبي، ويقرر بيل أن الآية [١٧٥] التي تنتهي بكلمة: {عَلَى النار} «هي إضافة ذات تاريخ مبهم»؛ لأنها خارجة عن نظام القافية[٢]، ويصف الآيات [٢١٠-٢١٢] المنتهية بكلمة: {الأمور، العقاب، بغير حساب} على النحو التالي: «هذه الآيات خارجة تمامًا

(١) انظر: Zahniser, 'The Word of God', p. 86، وهنا يورد زاهنيسر في الهامش بعض التعليقات المبدئية حول الأهمية البنيوية المحتملة للقافية. انظر: الهامش رقم ٣٦ في الصفحة ٨٦-٨٧. وتنتهي سورة الطارق [الآيات ١٥-١٧] بخاتمة موزونة قوية يبرز فيها الوزن (ص ح ص ص ا) مخالفًا الوزن الشائع المتبع في السورة (ص ا ص "حركة الكسر" ص). وثمة اقتراح بضرورة أن تتوافق الآيات [١١-١٤] من سورة الطارق مع الآيات العشر الأولى بشكل أكبر يتجاوز ما تسمح به قواعد التجويد، انظر: Stewart, 'Divine Epithets' كما يتضح أدناه.

(٢) Bell, Commentary, pp. 34–35.

عن السياق هنا، مخالفة للقافية، بل وغير مترابطة»[(١)]. وعلاوة على ذلك، يبدو أن بيل يفترض ارتباط هذه الآيات الخارجة عن القافية في الأصل بآيات أخرى خارجة عن القافية من نفس النوع.

ولذا يعلّق على الآية [١٩٧] التي تنتهي بعبارة: {أُولي الألباب} والآيات [٢٠٠-٢٠٢] التي تنتهي بكلمة: {خلاق، النار، الحساب}، فيقول: «إن

(١) Bell, Commentary, p. 44. تجدر الإشارة إلى أن أنجيليكا نويفرت تنوّه إلى عدم الدقة في التصنيفات المبكرة للقافية القرآنية استنادًا إلى المقطع الأخير فقط من كل آية (Neuwirth, Studien zur Komposition, pp. 69–70)، وتلاحظ أن الأنماط التي تأتي معًا وبالتالي تتفق في القافية في السور المكية المتوسطة لا تأتي مقترنة في السور المكية المبكرة وبالتالي لا تتفق في القافية (Neuwirth, Studien zurKomposition, pp. 69–70). وينبغي كذلك ملاحظة أن بيل يفسّر مواضع الشذوذ في القافية على نحو مختلف، ويرى وجود إقحام في غير محله يفصل بين الكلمات المقفاة المتعاقبة {المشركين} في الآية [١٣٥]، و{عابدون} في الآية [١٣٨]. وجزء من الدليل الذي يسوقه بيل في هذا الصدد يتضمن التشابه بين العبارات المقفاة في الآية [١٣٦] {ونحن له مسلمون} والآية [١٣٨] {ونحن له عابدون}. ويرى بيل أن هذا التكرار يشير إلى وجود مادة زائدة، ومع ذلك ينبّه إلى الانفصال الموضوعي بين نهاية الآية [١٣٦] علاوة على الآية [١٣٧] كلها وبين المادة المحيطة بها (انظر: Bell, Commentary, p. 27). ويتبع نفس المنطق على ما يبدو في التخلص من النصف الثاني للآية [١٤٠]: {قل أأنتم أعلم أم الله}. ويقرر بيل هنا بوضوح «وجود تشابه بين القافية في الآية [١٤٠]: {تعلمون} والآية [١٤١]: {يعلمون} وهو مؤشر على وجود إبدال. انظر: Bell, Commentary, p. 28. كما يؤيد بيل احتمالية أن تكون العبارات المقفاة التالية قد أضيفت إلى الآيات الحالية للإبقاء على القافية. (انظر: ص٤٤-٤٦، ٥٦).

الفاصلة في هذه الآية هي الألف الممدودة وربما لا تنتمي لهذه السورة، لكن هذه القافية تظهر في أجزاء أخرى من السورة في إضافات تمّت في نفس هذا التوقيت تقريبًا»[١]. وفيما يخصّ الآيات [١٦٥-١٦٧] التي تنتهي بكلمة: {العذاب، الأسباب، من النار} فيرى بيل أن القافية فيها مختلفة؛ ولذا لم تتم إضافتها في الوقت ذاته (كما في الآيات [١٥٥-١٥٧]، حيث إقحام آخر مفترض لكن ينتهي بالفاصلة ـون / ين)[٢].

وبصرف النظر عن صحّة الافتراضات التي أتى بها بيل (وسوف نناقشها بمزيد من التفصيل في الجزء الثاني أدناه) فإن مسألة العناصر التي تشكّل هذا التحوّل الكبير في النمط الإيقاعي هي في حدّ ذاتها مسألة غير مباشرة، ولا يوجد إجماع عليها. وتحاول أنجيليكا نويفرت جاهدة لتحسين فهمنا للإيقاع القرآني في دراستها للسور المكيّة في القرآن سنة ١٩٨١. وهنا تفصل أنجيليكا الحالات التي تظهر في السور المكية الأولى والتي ترى فيها شذوذًا مفاجئًا في السلسة الإيقاعية (القوافي) يتزامن مع تغيّر بسيط في الموضوع[٣]؛ أما التحوّل العابر في

---

(١) Bell, Commentary, p. 41.

(٢) نفسه، ص٣٢.

(٣) ودعمًا لهذا الرأي تقترح على سبيل المثال وحدات فرعية موضوعية دقيقة عند الآيات [٨-٩، ١٠] من سورة المعارج، ثم عند الآيات [١١-١٤]؛ وكذلك في سورة الطور عند الآيات [٩-١٠، ١١-١٢، ١٣، ١٤-١٦]، وفي سورة عبس عند الآيات [٣٣، ٣٤-٣٦]. انظر: Neuwirth, Studien zur =

النظام الإيقاعي فيدلّ بالنسبة لها على قرب نهاية وحدة موضوعية[١]، وترى أن الوضع مختلف بالنسبة لسور المرحلة المكية المتوسطة والمتأخرة، ومرة أخرى تقرّر أنجيليكا أن التغيرات في النظام الإيقاعي السائد يمكن أن يتزامن أو يأتي قريبًا من الفواصل الموضوعية[٢]. وتبقى هذه الفرضية محلّ إشكال، لكنها جديرة بالنظر، ذلك أن أنجيليكا ترى -في السور التي تسوقها كنماذج- وجود الفواصل الموضوعية بشكل يفوق مواضع التحولات في القافية التي حددتها،

=

Komposition, pp. 91–95. وثمة مثال آخر تذكره أنجيليكا في دراستها بعنوان: Studien zur Komposition، ص٩٨ حيث ترى أن الوحدات الموضوعية تتزامن مع التحولات في القافية في جميع الفواصل عدَا موضع واحد في سورة المدثر. وتناقش التغيرات في السجع والتجانس الصوتي (وتسميه Reimabwandlung، انظر النص المقابل للهامش رقم (١)، ص٥٥، فيما يلي).

تقصد الكاتبة الإشارة لهذا الجزء، ص٥٥-٥٧، (قسم الترجمات).

(١) مثال سور المرحلة المكية المتوسطة هو الآية [٣١/ ٣٢] من سورة عبس (انظر: Studien zur Komposition, p. 95)، ومثال سور المرحلة المكية المتأخرة الآية [٥/ ٦] من سورة الرعد (Studien zur Komposition, p. 107).

(٢) انظر: Neuwirth, Studien zur Komposition, pp. 101–107. وتذكر أنجيليكا التحولات في الآيات التالية: سورة الكهف: [٦٤/ ٦٥]، وكذلك الآيتين [١٠٢/ ١٠٣]، وسورة مريم: [٣٣/ ٣٤، ٤٠/ ٤١، ٧٤/ ٧٥]، علاوة على سورة طه: [٢٤/ ٢٥، ٣٢/ ٣٣]. وفي ملخص النتائج تصنف هذه التحولات إلى: (أ) تحولات عند الفواصل الرئيسة (مثالان). (ب) قبل أو بعد فاصل رئيس بآيات قليلة (ثلاثة أمثلة). (ج) عند الفواصل الصغيرة (ستة أمثلة). (د) قبل هذه الفواصل أو بعدها بآيات قليلة (مثال واحد). أو (هـ) بين عنصرين لنفس الكتلة النصية (مثالان).

ولأن تعريفها لما يشكّل تغييرًا في نظام القافية يعتمد في الأساس على القافية السائدة، وهذه الشذوذات العابرة في القافية في سور المرحلة المكيّة المتوسطة في تقديرها مجردة من أيّ أهمية بنيوية[١].

وفي إطار التحقّق من درجة وجود القافية يتجلى قدر من المرونة في العلاقة بين القافية والوزن، وكلاهما يسهم في الاتفاق الكلي بين زوج المفردات، وتقتضي القافية انسجام الحروف المتحركة القصيرة مع بعضها كما تفعل الياء والواو، وكذا حرف النون، والميم، واللام والراء أو الباء والدال، ونحو ذلك[٢]. بينما يركّز الوزن في المقابل على الاتفاق بين أزواج المفردات، مثل: عليم وبصير، وملتحد ومرتفق أو عرض وسمع. وفيما يتعلق بالسجع، يحدد البلاغيون عددًا من مستويات التقابل، وقد ذكرها ديفين ستيوارت في عدد من مقالاته التي تناولت هذا الأمر[٣]؛ لذا فإن السجع المتماثل (أو السجع المرصّع) هو ما جاءت ألفاظه متطابقة تمامًا بحيث يكون هناك توافق تامّ في

(١) انظر: Neuwirth, Studien zur Komposition, p. 73. ومع ذلك تقر أنجيليكا أن تصنيفها للقافية القرآنية من العموم بمكان بحيث يسمح بتسليط الضوء على أهميتها للفواصل البنيوية وأن دراستها لا تهدف إلى تقديم تحليل منهجي للقافية القرآنية. انظر: Neuwirth, Studien zur Komposition, p. 78.

(٢) انظر: Stewart, 'Sajʿ in the Qurʾān', and 'Rhymed Prose'.

(٣) انظر: Stewart, 'Sajʿ in the Qurʾān', 'Rhymed Prose', and 'Divine Epithets'.

الوزن؛ ومثال ذلك ما جاء في سورة الغاشية في الآيتين [٢٥، ٢٦] في قوله: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾. أما السجع المتوازي فيكون الاتفاق بين الفاصلتين فقط في الوزن والقافية، ومثال ذلك في سورة الغاشية في الآيتين [١٣، ١٤] في قوله: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾، ونجد الفاصلتين في السجع المطرف تتفقان في القافية دون الوزن كما يتضح في الآيتين [١٣-١٤] من سورة نوح في قوله: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾، وهنا تستخدم كلمة موازنة أو ازدواج لوصف الفاصلتين، على سبيل المثال الكلمتين الأخيرتين في الآيتين [١٥، ١٦] من سورة الغاشية {مَصْفُوفَةٌ/ مَبْثُوثَةٌ} تتوافقان في الوزن دون القافية. ووجود هذه الأنواع الأربعة يوحي بدرجة من المرونة في مدى التقابل المطلوب للحفاظ على عنصر التوافق في السجع.

الجدول ٦: أنواع السجع المختلفة.

نوع السجع	الآيات المشتملة على ألفاظ متطابقة تمامًا	اتفاق الفاصلتين في الوزن	اتفاق الفاصلتين في القافية
السجع المتماثل	نعم	نعم	نعم
السجع المتوازي	لا	نعم	نعم
السجع المطرّف	لا	لا	نعم
الموازنة	لا	نعم	لا

وتصوغ نويفرت نظامها الخاصّ في التحقق من وجود الإيقاع القرآني استنادًا إلى ثلاثة معايير، هي: النبرة، والوزن، والنمط الصوتي للمقاطع الثلاثة الأخيرة في كلمة الروي، مع مراعاة المقطع الأخير في كلمة الروي هل هو مقطع مفتوح أم مغلق[١]. كما تسير نويفرت على المنهج الذي سار عليه نولدكه في التمييز بين كلمات الروي على أساس التأثير المسجوع للجذر الأخير، وترى أن غالبية السور المكية التي نزلت في المرحلة الأولى أو المتوسطة تفضّل نمطًا سائدًا أو حتى حصريًّا للصائت إمّا أن تكون انفجارية أو احتكاكية أو شبه متحركة في الموضع الأخير ولا تتبع نمطًا عشوائيًّا إلّا في مواضع نادرة جدًّا[٢]. ثم تستخدم نويفرت مصطلحين متقابلين لنولدكه، هما: Reimwechsel (تغير القافية)، Reimabwandlung (تنويع القافية)، لوصف نوعين من التحول الصوتي[٣].

وتحولات كهذه مثل الانتقال من: ﴿كَٱلۡعِهۡنِ﴾ في الآية التاسعة من سورة المعارج إلى: ﴿حَمِيمًا﴾ في الآية العاشرة، وكذلك من كلمة: ﴿ٱلصَّآخَّةُ﴾ في الآية [٣٣] من سورة عبس إلى: ﴿أَخِيهِ﴾ في الآية [٣٤] تُصنّف على أنها Reimwechsel (تغير في القافية)، فهذه الفواصل لا تتفق في القافية وفق

(١) Neuwirth, Studien zur Komposition, p. 71.

(٢) نفسه، ص٧٢.

(٣) نفسه، ص٧٤.

تصنيف نويفرت، لكن الجذر الأخير لها لا يتوافق في التأثير المسجوع. كما أن التحول من: ﴿ٱلصُّدُورِ﴾ في الآية الخامسة في سورة هود إلى: ﴿مُّبِينٍ﴾ في الآية السادسة، أو من كلمة: ﴿غُلْبًا﴾ في سورة عبس في الآية [٣٠] إلى كلمة: {أَبًّا} في الآية [٣١] يمثل تحوُّلًا صوتيًّا طفيفًا بين الفاصلتين وبالتالي يشكل توافقًا في القافية وفق تصنيف نويفرت، التي تراه تنويعًا في القافية (Reimabwandlung) وأنّ مثل هذه التحولات تشير إلى تحوُّل موضوعي طفيف جدًّا[١]. وفي المقابل ينادي ستيوارت بملاءمة المنهج المستوحى من السجع السائد في التعامل مع القوافي والإيقاع في النصّ، وعلى أساس وجود السجع في الرسائل والأدعية المنسوبة للنبي، والإشارة المحتملة في الآية [١٨٠] من سورة الأعراف إلى استخدام الأسماء الحسنى في سياق غير قرآني، يرى ستيوارت أن القواعد المقررة للسجع والأساليب الأدبية التي استُخدم فيها ربما تشيع في القرآن إلى حدّ كبير[٢]. ولا يقف هذا عند حدود السور المكية الأولى التي يقرّ الباحثون بوجود السجع فيها بدرجات متفاوتة؛ ويثير ستيوارت تساؤلات حول الفرضية

(١) نفسه، ص٨١.

(٢) انظر: Stewart, 'Divine Epithets', p. 24، وانظر أيضًا: Neuwirth, Studien zur Komposition, p. 66 حيث تتساءل أنجيليكا عن جدوَى استخدام السجع في فهم القافية القرآنية، وتتحدث عن عدم صلاحية استخدام السجع الأخير في تقديرها كنوع من المغايرة السياقية علاوة على طبيعة معرفتنا المحدودة بالسجع قبل الإسلام أو القافية القرآنية في الوقت الحاضر (آنذاك).

التي ترى أن الآيات الطويلة ذات الألفاظ الكثيرة التي تتجلى في السور المتأخرة تخلو تمامًا من عناصر السجع.

يجدر بنا إنعام النظر في نموذج سورة البقرة للتعرّف على مقترح ستيوارت وكذلك للبحث في كيفية انسجام سورة من سور المرحلة المتأخرة مثل البقرة مع النظام الذي اقترحته أنجيليكا نويفرت للأهمية البنيوية لتغيّر القافية. وكما يتّضح من العمود الأيسر في الجدول السابع أدناه، فإنّ الغالبية العظمى [٢٤٦ من إجمالي ٢٨٦] لآيات سورة البقرة تنتهي بالقافية (ـون/ ين/ ـوم/ يم). كما أن الوزن السائد لهذه الكلمات المقفاة هو للجمع المذكر. وعليه فإن الآيات من [٢-٥] على سبيل المثال تنتهي بكلمة: {للمتقين، ينفقون}، وكذلك {يوقنون، المفلحون} المختلفتان بعض الشيء. وصيغ الجمع المذكر هذه تتقاطع مع خمسين كلمة من نمط (ص ح ص يم) أو (ص ح ص ين)؛ وبالتالي فعلى سبيل المثال تنتهي سبع آيات بكلمة {عظيم}، في حين تنتهي الآية [٢٩] بكلمة {عليم}، والآية [٣٢] بكلمة {الحكيم}، وآية [٣٧] بكلمة {الرحيم}، وهناك كلمة {مهين} في الآية [٩٠]، و{مبين} في الآية [١٦٨] ومرة أخرى في الآية [٢٠٨]. وبعضها يرد في آيات معزولة ضمن سلسلة من الفواصل التي تنتهي بالروي (ـون/ ين/ ـوم/ يم) وفي حالات أخرى ترد هذه الكلمات في سلاسل قصيرة في مقابل الفواصل الأخرى التي ترد بنمط (ص ح ص حَ ص)

والتي تتطابق بشكل واضح مع الكلمات ذات النمط (ص ح ص يم) أو (ص ح ص ين) في الوزن وإن لم تتفق في قافية واضحة.

الجدول (٧) يبيّن أنواع الفواصل المختلفة في سورة البقرة وكيف يمكن استخدامها في تقسيم السورة إلى كتل محددة القوافي.

	القوافي (ون/ ين / وم/ يم	القوافي ور/ ير/ و ل/ يل	القوافي يب/ يد	القوافي (اب/ اد / اق)	القافية (ار)	الوزن (ص ح ص حَ ص)	الوزن (ح ص ص حَ ص)	الوزن (ص ح ص حَ ص)
الآيات ١-١٩								الآية الأولى
						الآية ٧		
الآية ٢٠		قدير				الآية ٢٠		
٢١- ١٠٥								

						٢٩		
						٣٢		
								٣٦
						٣٧		
						٤٩		
						٥٤		
						٩٠		
						١٠٤-		
١١٠-١٠٦	قدير نصير					١١٠		

	السبيل قدير بصير						
						١١٤-١١٥	
						١١٩-١٢٠	
١٢٠	نصير						
١٢١							
١٢٢- ١٢٤							
١٢٥-١٢٦		السجود			١٢٥- ١٢٩		
	المصير						
١٢٧- ١٤٧							

							١٣٧	
							١٤٣	
١٤٨		قدير					١٤٨	
١٤٩-								
١٦٤							١٥٨	
							١٦٠	
							١٦٣	
١٦٥-١٦٧			العذاب				١٦٥	
			الأسباب			١٦٦		
			النار			١٦٧		
١٦٨-							١٦٨	

١٧٤							
					١٧٣- ١٧٤		
١٧٥				النار			١٧٥
١٧٦			بعيد		١٧٦		
١٧٧- ١٩٥							
					١٧٨		
					١٨١- ١٨٢		
					١٩٢		
١٩٦-١٩٧			العقاب		١٩٦		
			الألباب			١٩٧	

١٩٨-١٩٩					١٩٩		
٢٠٠			خلاق		٢٠٠		
٢٠١				النار			٢٠١
٢٠٢			الحساب		٢٠٢		
٢٠٣							
٢٠٤-٢٠٧					٢٠٤		
			الفساد المهاد بالعباد				
٢٠٨-٢٠٩					٢٠٨-٢١٠		
٢١٠		الأمور					
٢١١-٢١٢			العقاب حساب				

٢١٤		قريب			٢١٤-٢١٥		
٢١٥-٢٣٢							
					٢١٨		
					٢٢٠		
					٢٢٤-٢٢٨		
					٢٣١		
٢٣٣-٢٣٤	بصير خبير				٢٣٢-٢٣٥		

٢٣٥- ٢٣٦								
٢٣٧		بصير				٢٣٧		
٢٣٨- ٢٥٢								
٢٥٣		ما يريد				٢٥٣		
٢٥٤- ٢٥٨						-٢٥٥ ٢٥٦		

٢٥٩	قدير				٢٥٩		
٢٦٠- ٢٦٤					٢٦١-		
					٢٦٣		
٢٦٥	بصير				٢٦٥		
٢٦٦							
٢٦٧		حميد			٢٦٧- ٢٦٨		
٢٦٨							
٢٦٩			الألباب			٢٦٩	
٢٧٠				أنصار		٢٧٠	
٢٧١	خبير				٢٧١		
٢٧٢- ٢٨٣							
					٢٧٣		

							٢٧٦	
							-٢٨٢	
٢٨٤-٢٨٥	قدير المصير						٢٨٥	
٢٨٦								

ويمكن ملاحظة أنّ الكتلة النصيّة التي تبدأ من الآية [١٠٤] حتى الآية [١١٠] تشتمل على آيتين [١٠٤، ١٠٥] تنتهيان بالفاصلتين {أليم، العظيم} بينما الكتلة السابقة [من الآية ٢١-١٠٥] تنتهي بالقافية (ـون/ ين/ ـوم/ يم). وتشتمل مع ذلك على خمس آيات من [١٠٦ إلى ١١٠] تنتهي بالفواصل الآتية {قدير، نصير، السبيل، قدير، بصير} والتي تتفق في الوزن مع الآيتين [١٠٤، ١٠٥] ولكن لا تتفق في القافية مع الآيات السابقة. ويؤدي هذا الأمر إلى وجود كتلة مترابطة من الآية [٢١] حتى الآية [١١٠] دون خرق لقواعد التوافق في وحدات السجع. وثمة ظاهرة أخرى يمكن ملاحظتها عند الآيتين [١١٩، ١٢٠]؛ فكلمة {الجحيم} التي تنتهي بها الآية [١١٩] تتفق مع نمط القافية (ـون/ ين/ ـوم/ يم) في الكتلة السابقة للآيات [١١١-١١٨]؛ ثمّ إن الفاصلة

التالية {نصير} في الآية [١٢٠] لا تتفق في القافية مع هذه الكتلة لكنها تتفق مع الآية [١١٩] في الوزن؛ ولذا يمكن القول أنّ الكتلة النصية تبدأ [من الآية ١١١ حتى ١٢٠]. وإذا أردنا أن نسوق مثالًا ثالثًا، نجد الحالتين اللتين جاءت فيهما كلمة {عليم} في الآيتين [٢٨٢، ٢٨٣] تتفقان مع نمط القافية السابق (ـون/ ين/ ـوم/ يم) للكتلة التي تبدأ [من الآية ٢٧٢ حتى ٢٨٣]، ومع الوزن التالي (ص ح ص حَ ص) للكتلة التي تبدأ من الآية [٢٨٢ إلى ٢٨٥]. وتنتهي الآيتان [٢٨٤-٢٨٥] بالفاصلة {قدير، والمصير} وبها تُختم الكتلة {٢٧٢-٢٨٥}.

وفي المقابل، نجد عند مواضع أخرى أن نظام الوزن (ص ح ص حَ ص) يؤدي بنا إلى القافية (ـون/ ين/ ـوم/ يم). ويحدث هذا في الآيات [١٢٥-١٢٩] التي تتألف من خمس آيات بنظام الوزن (ص ح ص حَ ص). وتنتهي الآية [١٢٥] بكلمة {السجود} في حين تنتهي الآية التي تليها بكلمة {المصير}، أما الآيات [من ١٢٧ إلى ١٢٩] فتنتهي بكلمة {العليم، الرحيم، الحكيم}؛ ولذا فإن قافية هذه الآيات هي (ـون/ ين/ ـوم/ يم) التي تظهر بلا انقطاع في الآيات [من ١٢٧ إلى ١٤٧]. وعلاوة على ذلك فإن الآية [١٤٧] تليها آية مفردة تنتهي بكلمة {قدير} آية [١٤٨]، وأرى أن هذه القافية الشاذة هي ختام الكتلة النصية، مثلها في ذلك مثل الكتلة المقفاة التي تبدأ [من الآية ١٢٥ حتى ١٤٨]. وثمة ظاهرة مشابهة يمكن ملاحظتها عند الآية [٢٠] (حيث الفاصلة {قدير}

مجددًا)؛ وقد سبق الكلام عليها عند تناول الفاصلة {نصير} في الآية [١٢٠]؛ ويصدق الأمر نفسه على الفاصلة {بعيد} في الآية [١٧٦] وكذلك {الأمور} في الآية [٢١٠] والفاصلة {بصير} في الآية [٢٣٧] علاوة على {ما يريد} في الآية [٢٥٣] وأيضًا {بصير} في الآية [٢٦٥] ثم الفاصلة {خبير} في الآية [٢٧١]. وثمة فواصل نصية صغيرة عند هذه النقاط، وهي فواصل مقبولة بلا شك.

وهناك أمثلة أخرى للفواتح التي وزنها (ص ح ص حَ ص) تظهر عند الآيات [٢١٤-٢١٥] وكذلك [٢٣٣-٢٣٥]؛ ولذا فإنّ الآية [٢١٤] تنتهي بالفاصلة الشاذة {قريب} ثم تأتي الفاصلة {عليم} في الآية [٢١٥] لتوافق الآية [٢١٤] في الوزن، لكنها تتفق في القافية مع الفواصل (ـون/ ين/ ـوم/ يم) في الآيات [٢١٦-٢٣٢]. والكتلة النصيّة المترابطة التي تنشأ عن التحوّلات في الوزن والقافية تبدأ [من الآية ٢١٤ حتى ٢٣٢]، وبالتالي فإنّ المجموعة الصغيرة للآيات [٢٣٣-٢٣٧] تنتهي بالفواصل الآتية: {بصير، خبير، حليم، المحسنين، بصير}، وبالتالي تسير على نفس النمط الذي لاحظناه في الآيات [١٢٥-١٤٨] لكن بصورة مصغرة.

ولا شك أن المرونة المتأصّلة في سورة كبيرة مثل البقرة تعني بالضرورة -كما ثبت معنا- إمكانية اشتمالها على مجموعة متنوعة من الفواصل النصيّة، ومع ذلك فإنّ حقيقة اتساق الغالبية العظمى من الفواصل المقفاة مع الفواصل

الموضوعية في ترجمة عبد الحليم ورودي بارت لمعاني القرآن لها أهميتها الخاصة[1]. ويتضح من هذا أن اقتراح أنجيليكا نويفرت لا ينطبق بالضرورة على سورة البقرة؛ إِذْ ترى أنه في السور المكية ذات المرحلة المتوسطة والمتأخرة فإن الكلمات المنتهية بفاصلة (ـور/ ير/ ـول/ يل) «بطريقة واضحة مباشرة» تتفق في القافية مع الكلمات المنتهية بالفاصلة (ـون/ ين/ ـوم/ يم)، لكن الحال أن سورة البقرة تسير وفق قواعد السجع في هذه الحالة، ولا تعدُّ سورة البقرة سجعًا في ذاتها لكنها تلتزم بقواعد السجع في توظيف التقطيع في نموذج القافية للتأكيد على فواصل الوقف في النصّ.

وتتعقّد هذه المسألة إذا وضعنا في الاعتبار حقيقة أنّ الكتل النصيّة التي تنتهي بفواصل (ـون/ ين/ ـوم/ يم) تتخللها بانتظام كلمات بالوزن (ص ح ص ي ص)، ورغم أن هذا يتضح من الجدول (٧) أعلاه، فإنها تتّفق باتّساق في القافية مع الكتلة المحيطة وتشترك في بعض الخصائص مع المجموعات الافتتاحية والختامية التي وزنها (ص ح ص حَ ص)، وتأتي هذه الفواصل جزءًا من نوع معيَّن من خواتيم الآيات: مثل الأوصاف المزدوجة المتّسقة في الوزن؛ من ذلك على سبيل المثال عبارة: ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الآية [٧]، وكذلك: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ في الآية [٣٢]، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ في الآية [٣٧]. أو صيغ

(١) يتم نقاش هذه المسألة في الجزء الثاني.

تعبيرية عن حقائق خالدة أو صفات إلهية؛ مثل: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ في الحديث عن الله في الآية [٢٩]، أو ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ في الحديث عن الشيطان في الآية [١٦٨]. ويرى روبنسون وزاهنيسر أن صفات الله وغيرها من الصيغ التعبيرية هي وحدات ختامية الهدف منها ختم الكتل الموضوعية التي تقع حددوها داخل النصّ(١)، وبناء على ذلك يبدو أن هناك ما يبرر تمييزها كسجع مطرف وفق نظام القافية (ـون/ ين/ ـوم/ يم). ومع ذلك ينبغي ملاحظة أن هذه الوحدات لا تظهر ضمن الفواصل البنيوية الرئيسة في الدراسة التي أجراها روبنسون، أو زاهنيسر، أو فارين أو نيفين رضا لسورة البقرة، وأن هناك العديد من الحالات التي جاءت فيها هذه الصيغ في مواضع لا يظهر فيها تحوّل موضوعي(٢).

---

(١) انظر أيضًا: Wansbrough, Quranic Studies, p. 117: «التقسيم وفق فترات زمنية يتحقّق بإدراج صيغ محددة مثل: {والله عزيز حكيم}، {وهو العليم الرحيم}، ونحو ذلك». ويركز روبنسون كذلك على الأثر النصي الذي ينشأ عن تكرار الفواصل المتطابقة في الآيات التي يرد في نهايتها صفات الله. انظر: Discovering the Qur'an, pp. 198–201.

(٢) إذا وضعنا هذه «الكلمات الشاذة» في مقابل الفواصل البنيوية المقترحة للسورة، فسوف نجد ارتباطًا محدودًا جدًّا بالتقسيمات التي يقترحها روبنسون أو زاهنيسر: إذ يمكن القول أنّ كلمة {نصير} في الآية [١٢٠] من سورة البقرة تأتي قرب نهاية أحد المقاطع التي اقترحوها، بينما {قدير/ مصير} في الآيتين [٢٨٤-٢٨٥] تأتيان في بداية الكتلة النصيّة الختامية في السورة. وثمة توافق بين النمط المقترح بفعل هذه القوافي الشاذة وبين النظام الذي يقترحه فارين، رغم أنها قد تكون مجرد أمارات لزيادة عدد الفواصل في =

تعدُّ الصفات الإلهية المزدوجة محور التركيز الجليّ في مقالة ستيوارت لسنة ٢٠١٣ التي نشرها في مجلة الدراسات القرآنية، ويورد فيها خبرين يتّضح منهما أنّ هذه الخواتيم يمكن أن تـرِد في نوع من المشاكلة البنيوية للنسيج الرئيس للمادة القرآنية؛ أما الخبر الأول فيتضمن قدرًا من المرونة في مراعاة القافية

=

أنظمة التقابل العكسي. وسيرًا على المنهج الذي يميل إلى إبراز أهمية الأجزاء التي تأتي قرب بداية ونهاية الوحدات البنيوية فإن كلمة {قدير} في الآية [٢٠] يمكن أن تكون محل الآية الأخيرة من الحلقة (أ) عند فارين، وأن كلمة {نصير} في الآية [١٢٠] تأتي في الآية قبل الأخيرة من الحلقة الأولى، بينما كلمة {مصير} في الآية [١٢٦] تمثّل الآية الوسطى في الحلقة المتوسطة للمقطع (د)؛ وتمثّل الآية [١٤٧] مرة أخرى الآية الوسطى في المقطع (هـ)، في حين أن {من النار} في الآية [١٦٧] تمثّل نهاية الحلقة قبل الأخيرة من هذا المقطع. والقوافي الشاذة عند الآيات [٢٠٠-٢٠٢، ٢٠٤-٢٠٧] تأتي قبل الحلقة الوسطى، أما الآيات [٢١٠-٢١٢، ٢١٤] فتأتي ضمن الحلقة الوسطى من المقطع (ج*): وكِلا الآيتين [٢٠٧، ٢١٤] تمثلان نقطة تحوّل في التركيب الذي اقترحه، ثم تأتي كلمة {يريد} في الآية [٢٥٣] لتكون آخر آية في الحلقة (ج*). وكلمة {قدير} في الآية [٢٥٩] هي الآية قبل الأخيرة في الحلقة الوسطى (*')، والقوافي الشاذة في الآيات [٢٦٥، ٢٦٧، ٢٦٩-٢٧١] تأتي ضمن الحلقة الأخيرة في هذا المقطع. وفي ختام السورة يبدو النظام الذي اقترحه فارين مضطربًا في إظهار أيّ توافق مع البنية الناجمة عن قافية الختام؛ فإنّ الزوج المقفى {قدير/ مصير} في الآيتين [٢٨٤-٢٨٥] والذي يعتبرهما روبنسون وزاهنيسر مؤشرًا لبداية المقطع الأخير من السورة، ينفصل نتيجة بداية الحلقة (أ*) عند فارين. وعلاوة على ذلك وكما تقترح دراسة روبنسون الأخيرة لسورة المائدة يميل العلماء إلى التركيز بشكلٍ كبيرٍ على الصيغ الافتتاحية في حين لا يلتفتون إلى بيان المبرّر لختام الوحدات البنيوية المقترحة.

الدقيقة للصفات الإلهية[١]: فحين أمْلَى النبيُّ {غفورًا رحيمًا} كتبها ابن أبي السرح {عليمًا حكيمًا}، وحين أملى النبي {سميعًا بصيرًا} كتبها {سميعًا عليمًا}، وحين قرأها على النبي، أقرّها ورضي بها. وفي رواية أخرى لهذا الحديث عن عكرمة في تفسير الطبري للآية [٩٣] من سورة الأنعام يتفاخر ابن أبي السرح بهذا الأمر أمام جماعة من قريش ويؤكّد على أنه بدّل كلمات بنفس الخاتمة «ويقصد في هذه الحالة تغيير {عزيز حكيم} إلى {غفور رحيم}» وأن النبي أقرَّه على فِعله، فقال: نعم سواء. وفي رواية السُّدِّيّ التي ساقها الطبري في هذا السياق يزعم ابن أبي السرح أنه يوحى إليه كما يُوحى إلى محمد، فيقول: «إن كان محمد يوحَى إليه فقد أوحِي إليّ» وذلك عند تفسير الآية [٩٣] من سورة الأنعام. والتغيير المذكور هنا من جزأين، حيث تم تغيير {عليم حكيم} إلى {سميع عليم} والعكس.

(١) انظر: Stewart, 'Divine Epithets', pp. 37–38. هذا ملخص للحديث المشار إليه وليس اقتباسًا مباشرًا. ويورِد ألان دنديس هذه الأخبار في كتاب له بعنوان: Fables of the Ancients، واستدلّ بها على الطبيعة الشفهية للقرآن، فقال: «المهم في هذه القصة هو ما قرّره محمد من إمكانية أن تحلّ صيغة محل أخرى». (انظر: Dundes, Fables of the Ancients?, p. 32).

أما المثال الثاني فلا يقلُّ غموضًا[(١)]: حين سمع معاذ بن جبل الآيات [١٢-١٤] من سورة المؤمنون تعجب وقال: «فَتَبارَكَ اللهُ أَحسَنُ الخَالِقِين. فضَحِك رسولُ اللهِ ﷺ فقال له معاذٌ: مِمَّ ضَحِكْتَ يا رسولَ الله؟ قال: بِهَا خُتِمَتْ». ويسوق الثعلبي في تفسيره للآية [٩٣] من سورة الأنعام رواية لهذا الحديث تخلط بين الروايتين؛ حيث يتناول فعل عبد الله بن أبي السرح، مبينًا أنه كان يكتب للنبي ﷺ فكان إذا قال: {سميعًا عليمًا} كتب هو {عليمًا حكيمًا}، وإذا قال {عليمًا حكيمًا} كتب {غفورًا رحيمًا}، وأشباه ذلك. ثم يقود هذا الكلام إلى الحديث عن قصة آية سورة المؤمنون. فلما نزلت: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ الآية [المؤمنون: ١٢]، أملاها رسول اللّه، عجب عبد اللّه من تفصيل خلق الإنسان، فقال: تبارك اللّه أحسن الخالقين. فقال رسول الله ﷺ: «اكتبها، فهكذا نزلت»، شكَّ عبد اللّه وقال: «لئن كان محمد صادقًا لقد أُوحِي إليّ كما أوحي إليه، ولئن كان كاذبًا لقد قلتُ كما كتب»، فارتدّ عن المسلمين ولحق بالمشركين، وقال لهما: عليكم بمحمد لقد كان يملي عليّ فأغيّره وأكتب كما أُريد.

(١) انظر: Stewart, 'Divine Epithets', p. 38. يُذْكَرُ ابن أبي السرح في هذا الحديث أحيانًا كما نرى في الرواية التي ينقلها الثعلبي في تفسيره، وهو أمر يقرّه ستيوارت.

يسوق ستيوارت هاتين القصتين ليوضح الطبيعة المألوفة لهذه المادة القرآنية مما يوحي -على حدّ قوله- بنوع من الارتباط بأساليب الكلام في عصر ما قبل الإسلام[١]. ولهاتين القصتين مقتضاهما على فهمنا لبنية السورة وعلى الفواصل التي تبيّن مواضع الختام، كما يتضح منهما قلّة ما نعرفه عن آليات بناء السورة. ومن الجدير بالملاحظة في هذا الصدد أن ريتشارد بيل أزال العبارات المقفاة من العملية البنيوية الأساسية بالكامل في عدد من الحالات، ويقترح بيل نموذجًا غير عملي أُضيفت فيه عبارات القافية لمادة سابقة على النسخة المتداولة عند مرحلة الإدراج في سورة محدّدة أو استخدمت لبيان الآيات التي تم استبدالها؛ ولهذا يقترح بيل أن الآية [١٠٢] من سورة البقرة كان الغرض منها أن تكون بديلًا للآية [١٠١] بسبب تكرار كلمة يعلمون في ختام الآيتين. وأما مقطع «يسألونك» الذي يبدأ من الآيات [٢١٥-٢٢٢] (مع بعض الاستثناءات) فيرى بيل أنه دخيل على القرآن ككلّ؛ ولذا يقترح أن عبارات القوافي في الآيات

(١) تجدر الإشارة إلى أن ستيوارت يحدد سياق ملاحظاته بالعبارة التالية: «نقل الباقلاني نموذج ابن أبي السرح ليبين أن النبي لم يقبل بنقل المعنى القرآني، وإنما أصرّ على الالتزام بالشكل اللغوي كما هو». (انظر: Stewart, 'Divine Epithets', p. 62, n. 56). وكِلا وجهي الرواية مقبول بالنظر إلى الحديث، واللبس في مصدر الآيات محلّ الشاهد يكمن في عقل المرتد فقط، ولا يتعارض هذا مع الاقتراح بوجود أشكال مختلفة للكلام تعود لعصر ما قبل الإسلام، وهذا ما ذهب إليه وانسبرو أيضًا في دراسة له بعنوان: Quranic Studies، ص١١٧ حيث يرى أن عبارات مثل: {هو يحيي ويميت}، {وإليه ترجعون} ربما تمثل صيغًا واضحة لأصول دينية تعبدية، وبالتالي ليست دليلًا مناسبًا على شذوذ في بناء الجملة.

[٢١٥، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١] جميعها إضافات تمت خلال عملية جمع القرآن ولم تكن جزءًا من هذه الآيات في الأساس[١].

من المستحيل أن ننشِئ بأثر رجعي وبدقّة مقبولة النصّ القرآني الأصلي الذي يُحتمل أن يكون قد خضع لمستوى من المرونة التحريرية التي يراها بيل، ومع ذلك فإنّ قصة ابن أبي السرح ومعاذ بن جبل تثير تساؤلًا حول مدى وجود اتفاق تلقائي فطري على مواضع هذه الأوصاف الإلهية والخواتيم، وبالتالي لا ينبغي لمؤشرات الفواصل البنيوية أن تسبق هذه الفقرات بدلًا من أن تبرز فيها. وعلاوة على ذلك يبدو جليًّا أنّ هذه الخواتيم لا يلزم بالضرورة أن تؤدي وظيفة الختام والإغلاق لكن من الممكن أن تكون جملًا اعتراضية لا تؤثر على تسلسل الكلام. والحديث الذي أورده الثعلبي واضح الدلالة في أن ابن أبي السرح حين اقترح جملته لم يكن يعلم بما سيملَى عليه، وهذا يضع أيّ نقاش حول الأوصاف الإلهية في محور منفصل عن النصّ الرئيس ويفصلها من الجدول باعتبارها مؤشرات معتمدة للختام، واشتراط أن تتفق في القافية -في القصة الثانية مع الفواصل في الآيات [١٢-١٤] من سورة المؤمنون حيث قوله: {طِين}، {مَكِين}، {خالِقِين} يبدو هو الأهمّ في هذا الصّدد؛ ويتضح هذا

(١) انظر: Bell, Commentary, p. 19 and pp. 44–46, and Translation, p. 14 and pp. 29–31.

بجلاء من إضافة عبارة: «وأشباه ذلك» في رواية الثعلبي لهذا الحديث، ولا يشترط في القافية أن تكون هي بعينها- فإنّ النبي قَبِل كلمة {عليمًا} بدلًا من {بصيرًا}، رغم أنه يبدو من وضع المقترحات الأخرى التي تتفق في القافية (يمًا) أنه يفضل أن تكون نفس القافية بعينها. ولا شك أن هذا يعقّد أيّ قراءة للخواتيم باعتبارها مؤشرات لفواصل بنيوية ثابتة في سورة البقرة، وكما هو الحال في فواتح المقاطع الأخرى المحتملة أو الخواتيم، مثل صيغ الخطاب أو وجود المادة المتكررة، فلا بد من مراعاة الاعتبارات الموضوعية إلى جانب مؤشرات المفردات للوصول إلى حجة دامغة للتقسيم البنيوي على أساس القوافي عند مواضع محددة في السورة ولا بد من إيراد الشواهد لتدعيم هذا الرأي.

النوع الأخير من الفاصلة الشاذّة في سورة البقرة، التي تتألّف من كلمتين بوزن (ص ح ص ا ص) أو (أ ص ص ا ص) أو (ص ا ص) لا تظهر في أيّ فواصل بنيوية واضحة ويعدُّ هذا النوع من الشذوذ في نمط القافية التي تسير عليها سورة البقرة هو أكثرها صعوبة في الفهم. ويرى كويبرس في ضوء الخطاب البلاغي السامي أنه من الشائع في البلاغة السامية أن تضع في المنتصف فكرة تعترض سير الكلام لجذب انتباه القارئ أو السامع لأمر مهم[١]؛ إذن فما وظيفة

(١) Cuypers, 'Semitic Rhetoric', p. 16.

السلاسل القصيرة من الفواصل التي تبدو وكأنها تقطع خط القافية في السورة؟ هنا يأتي تحليل أنجيليكا نويفرت للسور المكية المتوسطة والمتأخرة ليخبرنا أنه بالنسبة لسور هذه المرحلة الزمنية، فإنّ سلسلة القوافي (ـون/ ين/ ـوم/ يم) تقطعها بانتظام القافية (ا ص)؛ ولذا تغضّ أنجيليكا الطرف عن إمكانية أن تمثل وسيلة بنيوية[١]. لكن الفواصل التي تتبع الوزن (ص ا ص) يكاد ينعدم ورودها في سورة البقرة مما يجعل من الصعب القبول بكونها جزءًا طبيعيًّا من القافية (ـون/ ين/ ـوم/ يم) في سور المرحلة المكيّة المتوسطة والمتأخرة كما تقترح نويفرت، وفضلًا عن ذلك فإنّ قواعد السجع تقتضي -كما يرى بيل- أن تمثّل آيات البقرة المنتهية بالقافية (ا ص) استثناءً من النمط السائد في السورة (ـون/ ين/ ـوم/ يم)؛ ونتيجة لذلك تستوجب مزيدًا من الاهتمام. وبالنسبة لفرضية بيل في أن الفواصل التي تلتزم بالوزن (ص ا ص) في سورة البقرة تأتي بالتوازي مع الكتل النصيّة المحيطة بها ذات القافية السائدة (ـون/ ين/ ـوم/ يم)، فهي فرضية تحتاج إلى إعادة النظر، وعملية الجمع المفرط في العشوائية التي

(١) تعدُّ أنجيليكا واضحةً في قبولها لمسألة عدم الالتزام بقافية ثابتة، ومع ذلك تصفها بأنها صور مختلفة من القافية (ـون/ ين/ ـوم/ يم) بدلًا من كونها تغييرًا في نظام القافية (انظر: Neuwirth, Studien zur Komposition, p. 71، والمثال الذي تسوقه هو كلمة {قهار} المقحمة في سلسلة قافية (ـون/ ين)، وفي ص٧٧ تذكر بوضوح أن حرف الألف لا يتفق في القافية مع الواو/ الياء). ومع ذلك يقترح وانسبرو أن حروف المد الطويلة بالإضافة إلى الحرف الساكن الأخير يمكن أن تشكل اتفاقًا في القافية. (انظر: Wansbrough, Quranic Studies, p. 116).

يقترحها بيل تبدو واهيةً ولكن الفرضية التي تنطوي عليها من أن عناصر سورةٍ ما من الممكن أن تتواجد مع كتل نصيّة أخرى سابقة الوجود تبقى فرضية مقبولة إلى حدٍّ ما.

تشتمل سورة البقرة على سبع عشرة قافية من النمط (ص ا ص): {العذاب/ الأسباب/ من النار} في الآيات [١٦٥-١٦٧] فضلًا عن: {على النار} في الآية [١٧٥]، {العقاب/ الألباب} في الآيتين [١٩٦-١٩٧]، {خلاق/ النار/ الحساب} في الآيات [٢٠٠-٢٠٢]، {الخصام/ الفساد/ المهاد/ بالعباد} في الآيات [٢٠٤-٢٠٧]، {العقاب/ الحساب} في الآيتين [٢١١-٢١٢]، وختامًا {الألباب/ الأنصار} في الآيتين [٢٦٩-٢٧٠]. وقد ظلّلت باللون الرمادي في الجدول (٧) أعلاه. وكما يتضح من الجدول فقد وردت في معظمها على شكلِ وحدات منفصلة مما يوحي بأنه رغم ما قد يبدو فيها من قافية غير دقيقة إلّا أنها تتميز بمستوى من الترابط البنيوي، والمادة القصيرة المختارة من الآيات [١٥٦-١٦٧] في كلمة {العذاب/ الأسباب/ من النار} تتميز عمّا حولها بتركيزها على الأنداد الذين اتخذهم الكفار من دون الله. وتشتمل الآيتان [١٩٦-١٩٧] على أوامر إضافية تختصّ بالحج كما هو حال الآيات [٢٠٠-٢٠٢] في قوله: {خلاق/ النار/ الحساب}. وتشتمل الآيات [٢٠٤-٢٠٧] على صورة تقارن بين الصالح والطالح في مقابلة واضحة: فكِلا المقطعين يشتمل على عبارة تبدأ

بقوله: {ومِنَ النَّاسِ مَن}. ثم تأتي الآيتان [٢١١-٢١٢] في قوله: {العقاب/ حساب} لتُقيد العبارة الواردة في الآية [٢١٠] تمامًا مثل الآية المنفصلة [١٧٥] في {علَى النار} مع الآية السابقة عليها [١٧٤]، وهما مرتبطتان بالمادة السابقة لكن يمكن فصلهما باعتبارهما امتدادًا لها، وتحدد الآيتان [٢١١-٢١٢] الآيات البينات وتذكران بني إسرائيل باعتبارهم مستقبِلي تلك الآيات. أما الآية [١٧٥] فتحدد طبيعة (الشراء) لدى من يكتمون ما أنزل الله. وتأتي الآيتان [٢٦٩، ٢٧٠] نموذجًا رائعًا؛ إذ تعقبان الحديث عن الأوصاف الإلهية المزدوجة {وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}، وبالتالي يمتد الحديث عن علم الله (وحكمته) لسطرين آخرين قبل الحديث عن الصدقات في الآية [٢٧١]. وثمة ملاحظة شبيهة حول الآيات [٢٠٠-٢٠٢]: إذ تنتهي الآية السابقة [١٩٩] بعبارة: {إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.

ولا تأتي أيٌّ من فواصل (ص ا ص) في الكتل النصيّة لسورة البقرة التي تم تحديد المعايير الإيقاعية لها بشكلٍ مبدئي من خلال وجود سلسلة فواصل (ص ح ص ي ص/ ص ح ص و ص) عند أحد الحدود الفاصلة، وفرضية أن الفاصلة المفردة (ص ح ص ي ص/ ص ح ص و ص) التي لا تنتهي بحرف النون أو الميم يمكن أن تُستخدم كذلك في تمييز الأطراف الختامية في الكتل النصيّة محدّدة القافية في سورة البقرة (على النحو المقترح أعلاه عند الإشارة على سبيل المثال إلى الآية [٢٠، ١٢٠، ١٤٨]) يمكن أن تُنقل كذلك إلى

المادة التي تظهر فيها الفواصل (ص ا ص)؛ ولذا يمكن القول أن فواصل (ص ا ص) في الآيات [١٦٥-١٦٧] وكذلك في الآية [١٧٥] تأتي ضمن كتلة نصيّة محددة القافية تبدأ عند الآية [١٤٩] عقب ختام الكتلة السابقة محددة القافية، وتنتهي بكلمة {بعيد} في الآية [١٧٦]، ثم تأتي أمارة الختام التالية عند الآية [٢١٠] عند كلمة {الأُمور} المقفاة؛ ولذا يمكن تضمين فواصل (ص ا ص) في الآيات [١٩٦-١٩٧، ٢٠١-٢٠٢، ٢٠٤-٢٠٧] في هذه الكتلة النصية التي تمتد [من الآية ١٧٧ إلى الآية ٢١٠].

ومع ذلك، فكما ذكرنا من قبل، تبدو الفواصل (ص ا ص) عند الآيات [٢١١-٢١٢] مرتبطة من الناحية الموضوعية بالآية [٢١٠]، كما أنها مرتبطة من حيث المفردات بالمادة السابقة عبر تكرار كلمة {يأتيهم} التي وردت في الآية [٢١٠] مرة أخرى في الآية [٢١١] بلفظ {أتيناهم}، وكذا تكرار كلمة {البيّنات} التي وردت في الآية [٢٠٩] بلفظ {بيّنة} في الآية [٢١١]؛ ولذا يبدو من غير المحتمل أن يتم وضعها خارج الفاصل المقترح نتيجة وجود كلمة ذات قافية شاذة هي كلمة {الأمور} في الآية [٢١٠]. وعلاوة على ذلك، لو أن الآيتين [٢١١-٢١٢] يمكن إلحاقهما بالكتلة النصيّة السابقة، فإن الآية [٢١٣] تأتي منفصلة، قبل المجموعة الافتتاحية المقترحة عند الآيتين [٢١٤-٢١٥]؛ ولذا ثمة برهان قوي على إلحاقها بالآيتين [٢١١-٢١٢]، وليس ذلك بسبب

ارتباطها من حيث المفردات بالمادة السابقة، وإنما لانتهائها بصيغة خاتمة هي في هذه الحالة ﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[1].

وثمة اقتراح شبيه فيما يخصّ الآيتين [٢٦٦، ٢٨٦]، وكلتاهما تقعان خارج الحدود الناجمة عن وجود فواصل (ص أ ص ي ر)؛ ونظرًا لأنهما منعزلتان بين فاصلتين شاذتين أو بين فاصلة شاذة ونهاية السورة، يمكن القول بضرورة إلحاقهما بنهايات الكتل النصية الخاصّة بكل منهما، فالآية [٢٦٦] تبدو مرتبطة من حيث المفردات بالآية [٢٦٥] التي تنتهي بصيغة {لعلَّكم تَتَفَكَّرُون}[2]؛ وتبدأ الآية [٢٦٧] بصيغة الخطاب {يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا}، كما ترتبط الآية [٢٨٦] بالآية [٢٨٥] من خلال لفظة {ربَّنا} والأداة البلاغية المتكررة للكلام المكرر. وكما ذكرنا من قبل فإنّ تكرار الوسيلة البلاغية اتخذه روبنسون دليلًا على وجود وحدة ختامية منفصلة في دراسته لسورة المائدة.

ونظريًّا فإنّ سلسلة الفواصل (ـون/ ين/ ـوم/ يم) التي تبدأ من الآيات [١٢١-١٢٤] تأتي بين كتلة محدّدة القافية تنتهي بكلمة {نصير} وسلسلة افتتاحية من فواصل (ص ح ص حَ ص). وإذا نظرنا إلى اعتبارات أخرى غير

(١) هناك خاتمة مماثلة في الآية [١٤٢] في قوله: {يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم}، وفي مواضع أخرى متعددة في القرآن.

(٢) ترِد نفس العبارة في الآية [٢١٩]، وفي مواضع أخرى متعددة من القرآن.

القافية وجدنا أن الآية [١٢١] يمكن إلحاقها بالكتلة النصيّة السابقة، كما أن الآية [١٢٢] تبدأ بصيغة الخطاب {يا بني إسرائيل} وتنتهي الآية [١٢١] بصيغة خاتمة هي {أُولَئِكَ هُم الخاسِرون}[(١)]. ومجيء الآيات المعزولة صوتيًّا خارج الفواصل النصيّة نتيجة دلائل على القافية الختامية ينطبق على الآيات [٢١٣، ٢٦٦، ٢٨٦]، وقيل إنه من الممكن إلحاقها جميعًا بالوحدات النصيّة السابقة عليها. وتختلف الآية [١٢١] عن النماذج السابقة لأنها ترتبط من خلال القافية بالآيات التي تليها، ويمكن اتخاذ العوامل الأخرى مؤشرًا على وجود فاصل نصّي عند هذا الموضع، كذلك يمكن لصيغة الخطاب عند الآية [١٢٢] علاوة على الخاتمة عند نهاية الآية السابقة أنْ تبرِّرا الاقتراح غير المسبوق بوجود فاصل نصّي في وسط كتلة إيقاعية موحدة، وليس الهدف من ذلك الإشارة إلى عدم وجود فواصل نصيّة غير المذكورة أعلاه في سورة البقرة، إِذْ لا شك في أن العديد من الكتل محدّدة القافية يمكن تقسيمها تقسيمًا فرعيًّا من خلال مؤشرات نصيّة تدلّ على البدء أو الختام، لكن اقتراح الفاصل هنا سببه إعطاء

(١) وكذلك الحال بالنسبة للآية [٢٧] من سورة البقرة، والآية [١٧٨] من سورة الأعراف، والآية [٣٧] من سورة الأنفال، وفي مواطن متفرقة.

الأولوية للناحية الصوتية (النماذج الشبيهة للآيات [٢١٣، ٢٦٦، ٢٨٦]) في وضع لا يحتمل أيّ اعتبارات أخرى[(١)].

يبيّن الجدول (٨) الحدود الفاصلة المقترحة لبعض الفقرات المفصلية في سورة البقرة.

الفقرة المفصلية	القافية	اعتبارات مفرداتية	الفاصل المقفى السابق	الفاصل المقفى اللاحق	الوحدة المقترحة
الآيات ١٢١-١٢٤	ـون/ ين/ ـوم/ يم	تبدأ الآية ١٢٢ بعبارة {يا بني إسرائيل}	الآية ١٢٠ {نصير}	الآية ١٢٥ {سجود}	من الآيات ١١١-١٢١؛ وأيضًا ١٢٢-١٢٤.
٢١١-٢١٣	متعددة	الهمزة والتاء	الآية ٢١٠	الآية ٢١٤	١٧٧-٢١٣

(١) يمكن القول أنّ الآية [١٢٤] مرتبطة موضوعيًّا بالآيات [١٢٥-١٣٤] وتحكي قصة إبراهيم. وكلام رودي بارت هنا يتعلق بالآيات [من ١٢٤ إلى ١٣٤]، ومع ذلك فإن المادة القرآنية المتعلقة بإبراهيم في سورة البقرة [٢٥٨-٢٦٠] تبدو مقسمة بفاصل مقفى عند نهاية الآية [٢٥٩] رغم وجود قدر كبير من الترابط الموضوعي والمفرداتي بين الآية [٢٥٨] والآية [٢٦٠]؛ ولذا نجد في الآية [٢٥٨] إبراهيم وهو يصف الله بأنه {يحيي ويميت}، وفي الآية [٢٦٠] يسأل إبراهيمُ اللهَ عن قدرته بعبارة: {تحيي الموتى}. ويتعزّز الفاصل النصّي الناجم عن وجود كلمة {قدير} في نهاية الآية [٢٥٩] بالكلمة الافتتاحية {وإذْ} في بداية الآية [٢٦٠]؛ وهو مؤشّر آخر حدّده روبنسون في دراسته لسورة المائدة سنة ٢٠٠١. والاعتبارات الأخرى غير القافية تعزّز وجود فاصل نصّي عند الآية [٢٦٠]، وبالقياس على ذلك يبدو من الممكن وجود فاصل نصي بين الآيتين [١٢٤، ١٢٥] كذلك.

		والياء في الآيتين ٢١٠، ٢١١ علاوة على الباء والياء والنون في الآيتين ٢٠٩، ٢١١.	{الأمور}	{قريب}	
الآية ٢٦٦	ـون/ ين/ ـوم/ يم	تبدأ الآية ٢٦٧ بصيغة الخطاب {يا أيها}	الآية ٢٦٥ {بصير}	الآية ٢٦٧ {حميد}	٢٦٠-٢٦٦
الآية ٢٨٦	ـون/ ين/ ـوم/ يم	{ربّنا} في الآيتين ٢٨٥، ٢٨٦.	الآية ٢٨٥ {المصير}	نهاية السورة	٢٧٢-٢٨٦

وبالعودة إلى وظيفة الفواصل (ص ا ص) فإنّ البنية التي تنشأ عن هذه الشذوذات المفاجئة في القافية لا تبدو دليلًا على بدء مقطع أو ختامه، وليس هناك ما يشير إلى وجود محاولات لدمج هذه الفقرات في القافية السائدة في السورة (ـون/ ين/ ـوم/ يم): والحالة الوحيدة التي تجاور فيها الفاصلة (ص ا ص) كلمة ذات وزن مماثل هي في الآيتين [٢٧٠-٢٧١] في قوله: {أنصار/ خبير}. والتفسير

المحتمل من وجهة نظري أن هذا التحوّل المفاجئ في القافية إلى (ص ا ص) الهدف منه التأكيد. وفي ظلّ غياب أيّ أسباب موضوعية واضحة، أرى أن التأكيد هنا تعاقبي يتعلق بتاريخ تطور المادة، فالتحول في القافية من (ـون/ ين/ ـوم/ يم) إلى الفواصل (ص ا ص) في سورة البقرة هدفه الإقرار والتأكيد على وجود مادة جديدة ضمن كتلة نصيّة سابقة الوجود.

هذا الشكل من التعاقبية وتاريخ التطوّر غير مألوف إلى حدٍّ ما؛ إذ ينبثق من الرغبة في توضيح سمة نصيّة رئيسة في سورة من السور، التي أرى أنها تدلّ على التوكيد، وليس التغيير في الأسلوب، وهذه الفرضية لا تستند إلى فترة زمنية متباعدة بين ظهور النصّ الأصلي وإعادة نشره مصحوبًا بالمادة الإضافية التي أدخلت عليه، وإنما تعتمد على فهمٍ لبنية السورة يَفترض الوجود المسبق لمقاطع منفصلة، وربما محددة القافية، في سورة البقرة قبل اكتمال السورة. ويأتي التركيز على الدراسات التعاقبية للنصّ في الجزء الثاني من هذا البحث ليسلط مزيدًا من الضوء على هذه القضية.

ثبت المراجع

أولًا: المراجع العربية:

ابن حنبل، أحمد، المسند (٦ أجزاء، القاهرة، ١٣١٣/ ١٨٩٥-١٨٩٥).

الثعلبي، أحمد بن محمد، الكشف والبيان، تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور (١٠ أجزاء، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٢).

عمر، أحمد مختار، الفاصلة القرآنية بين ملاءمة اللفظ ومراعاة المعنى، مجلة الدراسات القرآنية، العدد ١:١ لسنة ١٩٩٩، ص٢٦٤-٢٦٩.

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

Bell, Richard, A Commentary on the Qurʾān. Volume I: Surahs I–XXIV (Manchester: University of Victoria, 1991).

Cook, Michael, 'The Stemma of the Regional Codices of the Koran', Graeco-Arabica 9–10 (2004), pp. 89–104.

Cuypers, Michel, 'Semitic Rhetoric as a Key to the Question of the naẓm of the Qur'anic Text', Journal of Qur'anic Studies 13:1 (2011), pp. 1–24.

——, Le Festin: Une lecture de la sourate al-Mâʾida (Paris: Letheilleux, 2007).

Douglas, Mary, Thinking in Circles (New Haven: Yale University Press, 2007).

Dundes, Alan, Fables of the Ancients? Folklore in the Qur'an (Lanham and Oxford: Rowman & Littlefield Inc., 2003).

Farrin, Raymond K., 'Surat al-Baqara: A Structural Analysis', Muslim World 100:1 (2010), pp. 17–32.

Jones, Alan, The Qurʾān (Gibb Memorial Trust, 2007).

Klar, Marianna, 'Re-examining Textual Boundaries: Towards a Form-Critical Sūrat al-Kahf' in Majid Daneshgar and Walid A. Saleh (eds), Islamic Studies Today: Articles in Honor of Andrew Rippin (Brill: Leiden, New York, 2016), pp. 226–254.

——, 'Through the Lens of the Adam Narrative: A Re-consideration of Sūrat al-Baqara', Journal of Qur'anic Studies 17:2 (2015), pp. 24–46.

Mir, Mustansir, 'The Sūra as a Unity: A Twentieth Century Development in Qurʾān Exegesis' in G.R. Hawting and Abdul-Kader A. Shareef (eds), Approaches to the Qur'an (London, New York: Routledge, 1993), pp. 211–224.

——, Coherence in the Qur'an: A Study of Iṣlāḥī's Concept of Naẓm in Tadabbur-I Qurʾān (Indianapolis: American Trust Publications, 1986).

Modarressi, Hossein, 'Early Debates on the Integrity of the Qur'ān: A Brief Survey', Studia Islamica 77 (1993), pp. 5–39.

Neuwirth, Angelika, art. 'Sūra' in Encyclopaedia of the Qurʾān.

——, 'Vom Rezitationstext über die Liturgie zum Kanon: Zu Entstehung und Wiederauflösung der Surenkomposition im Verlauf der Entwicklung einers islamischen Kultus' in Stefan Wild (ed.), The Qurʾan as Text (Leiden, New York, Köln: Brill, 1996), pp. 69–105.

——, Studien zur Komposition der mekkanischen Suren (Berlin, New York: Walter de Gruyter, 1981).

Paret, Rudi, Der Koran (W. Kohlhammer Verlag: Stuttgart, 1962).

Reda El-Tahry, Nevin, 'Textual Integrity and Coherence in the Qur'an' (unpublished PhD dissertation, Toronto: 2010).

Robinson, Neal, Discovering the Qur'an: A Contemporary Approach to a Veiled Text, 2nd edn (London: SCM Press, 2003 [1996]).

——, 'Hands Outstretched: Towards a Re-reading of Sūrat al-Māʾida', Journal of Qur'anic Studies 3:1 (2001), pp. 1–19. 36 Journal of Qur'anic Studies

Sadeghi, Behnam, 'The Chronology of the Qurʾān: A Stylometric Research Program', Arabica 58 (2011), pp. 210–299.

Sadeghi, Behnam, and Mohsen Goudarzi, 'Ṣanʿāʾ 1 and the Origins of the Qurʾān', Der Islam 87 (2012), pp. 1–129.

Sadeghi, Behnam, and Uwe Bergmann, 'The Codex of a Companion of the Prophet and the Qurʾān of the Prophet', Arabica 57 (2010), pp. 343–436.

Schmid, Nora K., 'Quantitative Text Analysis and its Application to the Qur'an' in A. Neuwirth, N. Sinai, and M. Marx (eds), The Qur'ān in Context: Historical and Literary Investigations into the Qur'ānic Milieu (Leiden, Boston: Brill, 2009), pp. 441–460.

Sinai, Nicolai, 'Two Types of Inner-Qur'anic Interpretation', forthcoming in Georges Tamer (ed.), Exegetical Crossroads: Understanding Scripture in Judaism, Christianity and Islam in the Medieval Orient (Berlin: de Gruyter, 2017).

——, ‘When Did the Consonantal Skeleton of the Quran Reach Closure? Part II’, Bulletin of the School of Oriental and African Studies 77:3 (2014), pp. 509–521.

——, ‘When Did the Consonantal Skeleton of the Quran Reach Closure? Part I’, Bulletin of the School of Oriental and African Studies 77:2 (2014), pp. 273–292.

——, ‘The Qur’an as Process’ in A. Neuwirth, N. Sinai, and M. Marx (eds), The Qur’ān in Context: Historical and Literary Investigations into the Qur’ānic Milieu (Leiden, Boston: Brill, 2009), pp. 407–439.

——, ‘Editorial Expansion and Literary Growth in the Medinan Suras’, paper delivered 13 April 2005 at the Second Annual Conference of the British Association for Islamic Studies, Senate House, University of London.

Smith, David E., ‘The Structure of al-Baqarah’, The Muslim World 91:1–2 (2001), pp. 121–136.

Stefanidis, Emmanuelle, ‘The Qur’an Made Linear: A Study of the Geschichte des Qorâns’ Chronological Reordering’, Journal of Qur’anic Studies 10:2 (2008), pp. 1–22.

Stewart, Devin, ‘Divine Epithets and the Dibacchius: Clausulae and Qur’anic Rhythm’, Journal of Qur’anic Studies 15:2 (2013), pp. 22–64.

——, ‘Sajʿ in the Qurʾān: Prosody and Structure’, Journal of Arabic Literature 21 (1990), pp. 101–139.

——, art. ‘Rhymed Prose’, Encyclopaedia of the Qurʾān.

Wansbrough, John, Quranic Studies: Sources and Methods of Scriptural Interpretation (Oxford: Oxford University Press, 1977).

Zahniser, A.H. Mathias, ‘Major Transitions and Thematic Borders in Two Long Sūras: al-Baqara and al-Nisāʾ’ in Issa J. Boullata (ed.), Literary Structures of Religious Meaning in the Qurʾān (Richmond: Curzon, 2000), pp. 26–55.

——, ‘The Word of God and the Apostleship of ʿĪsā: A Narrative Analysis of Āl ʿImrān (3:33–42)’, Journal of Semitic Studies 36 (1991), pp. 77–112